



## شكر وتقدير

الشكر والحمد لله عز وجل الذي وفقنا وأعاننا على إتمام هذا العمل.  
الشكر والتقدير للأستاذة الدكتورة "عشي نصيرة" التي تفضلت وتكرمت بالإشراف على هذه المذكرة

إلى كل من ساهم في إتمام هذا العمل ولو بنصيحة وتشجيع



## إهداء

إلى من وضع المولى . سبحانه وتعالى . الجنة تحت قدميها ، ووقرها في كتابه العزيز ، إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي ، إلى من تعبت من اجل إيصالني إلى هذا العمل لكي يا أندر جوهرة "أمي الغالية" "وردية"

إلى من أحمل اسمه بكل فخر ، أبي العزيز "بلقاسم"

إلى من جمعت بين حزني وسعادتي وبها استمد قوتي وعزمي أختي وحببتي "حنان"  
إلى أخي العزيز "سعيد" رغم الغياب والمسافات الطويلة ستبقى سندي إلى ما لانهاية  
إلى أختي حببتي مهما كبرت ستبقى صغيرتي "دنيا" وحبوبتي "دانية" والغالي "إياد"

إلى رفيقات دربي صديقاتي "عزيزة . سميرة . ليليا"

وإلى من هم في قلبي وذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

## أحلام



## إهداء

أولاً أتقدم بالشكر والثناء لله عز وجل

اهدي تخرجي إلى الشمعة التي يحرق قلبي غيابها عن أجمل لحظات حياتي ..سر وجودي ..إلى من رحلت من دنياي ولم ترحل من قلبي تلك التي لطالما تمنيت أن تكون بقربي أُمي رحمها الله وطيب ثراها

إلى الجبل الذي يحميني من كل عواصف الحياة ..السند الذي لا ينكسر ، والقلب الذي لا يتهاون مع أحزاني .. أبي العزيز أطل الله في عمره

إلى من تسعد عيني برؤية وجوههم ، ويفرح فؤادي بسماع رنات ضحكاتهم .. إخوتي وأخواتي الأعزاء "يونس ، محمد ، فارس ، مروة ، ياسمين "

إلى شقيقات الروح اللواتي لم يلدهم رحم أُمي بل ولدتهم لي مواقف الحياة ...صديقتاي الغاليتان "دايا وشهرزاد "

إلى سارة ، سعاد ، فيروز ، لبنى ، عائشة وآخر العنقود رحاب

إلى رفيق دربي ونصفي الثاني إلى حبيب القلب والروح زوجي الغالي "جمال "

إلى أحلام شريكتي في هذا العمل

ليليا



# مقدمة

## مقدمة

يعتبر الادب من الوسائل التي عبرت عن نواحي مختلفة في الحياة فدخل جميع المجالات، وعبر عنها بكل اجناسه سواء بالشعر او المسرح او الرواية، وتختلف مواضيعه بتعدد مجالات الحياة إلا أنه في الآونة الاخيرة وبسبب الحروب والنزاعات، اصبحت الهوية والانتماء الوطني شغل الادباء الشاغل، للتعبير عن حالات الضياع والتشتت في شكل عمل روائي جميل وأسلوب ملفت بسيط، فصارت موضوع يمس الانسانية.

ومنه فإن فكرة الهوية والانتماء الوطني من أبرز ما حظي به الخطاب الرّوائي في كلّ الكتابات الرّوائية، وقد شكّل هذا الموضوع لدى الكتّاب والمؤلفين دورا حافزا وركيزة في الاحتفال، والتأكيد على شعورهم بالانتماء، خاصة غداة دخول الجزائر في نفق مظلم سيعرف بـ "العشرية السوداء"، وهذا ما جسده رواية اربعون عاما في انتظار ايزابيل " لسعيد خطيبي فالرواية تعكس لنا واقعا معاشا وعبرا عن هموم الانسان، ومن هنا يأتي البحث الموسوم بـ"تمثلات الوطن في رواية اربعون عاما في انتظار ايزابيل".

و سبب اختيارنا لهذا الموضوع لأنه أثار ولا يزال يثير جدلا في الساحة الأدبية الجزائرية خاصة، والعالمية عامة، فقد أضحى هذا الموضوع- الهوية -خطابا متداولاً بكثرة في الجزائر والعالم ككل، ما دعانا إلى التطرق لهذا الموضوع.

وقد تعددت الأسئلة حول هذا الموضوع ومن أهمها :

- إلى أي مدى شغل موضوع الوطن كتاب الرواية؟
- و كيف كان تأثير الأزمة الاجتماعية في الكتاب والروائيين لإثبات هوياتهم وانتمائهم لأوطانهم ؟
- كيف تجسد موضوع الوطن في رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل ؟

وقد بني البحث على مدخل وفصلين اثنين، حيث تناولنا في المدخل نشأة الرواية الجزائرية، أما الفصل الأول فحمل عنوان سرد الوطن في رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل، وقد قسم إلى مبحثين فالمبحث الأول خصص كقراءة في مفهومي السرد والوطن، فقد ركزنا في هذا المقام في مفهوم السرد والوطن من حيث مفهومهما، ثم تطرقنا إلى نماذج روائية سردت موضوع الوطن.

أما المبحث الثاني فعرضنا فيه تداخل التاريخي بالتخييلي في سرد الوطن في الرواية .

أما الفصل الثاني فحمل عنوان الشخصية وقسم إلى مبحثين، المبحث الأول خصص لتمثل الشخصية الوطنية الجزائرية تم فيها تحديد مقومات الهوية الجزائرية حيث يندرج ضمن أربع مقومات أولا التاريخ والتي تطرقنا فيها إلى حضور الشخصية المحورية في الأحداث التي شكلت تاريخ الجزائر، أما المقوم الثاني تمثل في اللغة، أما المقوم الثالث فكان الدين وتم فيه عرض اعتناق الدين الإسلامي كجزء أساسي لاكتساب هوية جزائرية وأما المقوم الرابع والأخير تمثل في العادات والتقاليد وذلك من خلال الرواية. وأما المبحث الثاني فهو بعنوان تمثل الشخصية الأجنبية، تطرقنا فيه أيضا إلى مقومات الهوية الأجنبية لجوزيف وذلك من خلال الرواية.

وفي الأخير خاتمة تضمنت أهم النتائج، بينما الملحق فقد تضمن تعريف للكاتب سعيد الخطيبي، وملخص للرواية، واعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي والتحليلي، كونه الكفيل بدراسة هذه المواضيع، وللوصول إلى مبتغانا اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع والتي من أهمها المصدر الأساسي هو الرواية " أربعون عاما في انتظار إيزابيل " ودراسات في الرواية الجزائرية لمصطفى فاسي، ومن الصعوبات التي واجهتنا في إعداد هذا العمل هي صعوبة التحكم في الموضوع أثناء التحليل خاصة في الجزء التطبيقي.

ختاما نقدم بخالص شكرنا وامتناننا لأستاذتنا المشرفة القديرة على كل التوجيهات والتوصيات التي قدمتها لنا.

مدخل

عرفت الحركة الأدبية تطورا كبيرا، نتج عنه ظهور أجناس أدبية جديدة ولعل أهم هذه الأجناس الرواية التي لقيت اهتماما وإقبالا خاصا من طرف الأدباء والقراء على حد سواء .

### 1. مفهوم الرواية

تعتبر الرواية احد أهم أنواع السرد الأدبي، ولقد اختلفت وجهة نظر الباحثين في وضع تعريف موحد ومحتد لها وفي هذا الصدد نجد "عبد الملك مرتاض" تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيئتها ألف رداء، وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل، مما يعتبر تعريفها تعريفا جامعاً مانعاً<sup>1</sup>.

تعتبر الرواية محور العلاقة بين الذات والعالم، وبين الحلم والواقع، وهي الخطاب الاجتماعي والسياسي، والإيديولوجي المتوجه دائما ناحية حشد من الأسئلة التي تتخذ من الإنسان والطبيعة والتاريخ محاور موضوعاتها لتعيد إليهم رؤى ووعي وبنى جديدة، تضيء الواقع باعتبارها جنسا أدبيا متغير المقومات والخصائص. وتداخلها مع أجناس أخرى، فانه من الصعب أن نجد تعريفا دقيقا خاصا بها لكن هذا لا يعني أن البحث عن مفهومها في غاية الصعوبة، بل هناك العديد من الدارسين الذين أوردوها أو بالأحرى تعرضوا لمفهومها .

وقد يكون ايسر تعريف لها هو أنها « شكل أدبي متميز، له ملامحه الخاصة، وقسماته الواضحة، هذا الشكل يتخذه بعض الأدباء وسيلة للتعبير عما يريدون التعبير عنه، أو هيكلًا لتصوير ما يرغبون في تصويره من أشخاص، أو أحداث، أو مواقف»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1988، ص 11.

<sup>2</sup> الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، دار الجنوب للنشر، تونس، ط 2، 2004، ص 47.

وتعرفها أيضا " مارطاروبار " : «بأن الرواية لم تحظى بتعريف دقيق، وهي إلى حد ما غير قابلة للتعريف»<sup>1</sup> أو قد عللت رأيها بأن الرواية ذات حرية شاملة في مادتها وأساليبها .

والتعريف البسيط للرواية أنها مجموعة من الجمل التي تكون وحدة دلالية والتي تكون معنى، وبذلك تكون نصا يحمل مضمونا معينا .

من التعاريف السابقة نستنتج أن الرواية ليست فنا عشوائيا بل تعتمد على ضوابط وقواعد فنية في بناءها وعرضها لصور الحياة والعلاقات بين الشخصيات. والرواية لها أسلوب فني جميل يعمل على تقديم صورة عن الحياة التي يعيشها الإنسان في واقعه، كما تبين طبيعة العلاقات بين الشخصيات من صراعات وتحاور وصدقة وتعاون والمواقف التي يتعرض لها الإنسان وذلك بأسلوب وصياغة راقية وخصائص فنية تميزها عن الأجناس الأدبية الأخرى من حيث الحجم، اللغة وتعدد الشخصيات وتنوع الأحداث وهي الأكثر تطور وتغير على مستوي المضامين والبناء.

ولقد كان هناك تباين واختلاف في زمن ظهورها، فمن الدارسين من أدرج الروايات اليونانية القديمة ردا إياها إلى العصر الإغريقي، ومنهم وهم الأغلبية من جعل للرواية بدايتين واحدة للرواية اليونانية أو الرواية القديمة في القرنين الأول والثاني، والأخرى للرواية الحديثة في القرن السادس عشر، ومنهم من قال أن الرواية لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر مع "دون كيشون"، أو حتى في القرن الثامن عشر مع سيادة البرجوازية، ومن الدارسين من حصر ظهور الرواية في عصرها الذهبي في القرن التاسع عشر، ويبدو أن الرواية كجنس أدبي قد ظهر أولا في فرنسا في القرن الثاني عشر، وفي هذا المعنى يقول احد الباحثين « أن الرواية من حيث هي جنس حديث قد نشأت في الغرب وفي فرنسا على وجه الخصوص».

<sup>1</sup> سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2، د.ت، ص 13.

## 2. تطور الرواية الجزائرية

لقد مرت الرواية الجزائرية بعدة مراحل منها في عام 1947 م صدر العمل الأدبي "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو وهي التي يعتبرها بعض الباحثين عملا روائيا ناضجا، كما يعتبر منعظا هاما للرواية الجزائرية، فقد بين عبد المالك مرتاض أن هذه الرواية من نوع قصير إن صح التعبير، لكونها تجاوزت في حجمها مفهوم القصة القصيرة بكثير، ناهيك أن الكاتب نشرها وحدها مستقلة في مجلد واحد.<sup>1</sup>

أما بالنسبة لعبد الله الركيبي فيرى " أن الرواية المكتوبة باللغة العربية فبدأت متعثرة، تعثر البحث عن الذات في ظل أجواء القهر، فهي من مواليد السبعينات بالرغم من وجود بوادر ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية تعد ساذجة المضمون مثل طريقة التعبير فيها".<sup>2</sup>

أما مصطفى فاسي فحسبه "أن الرواية الجزائرية حديثة بالظهور المكتوبة منها باللغة العربية، أكثرها حداثة إلا أننا نستطيع القول بأنها منذ ظهورها الأول قد اقتحمت الساحة الأدبية بشكل قوي".<sup>1</sup>

لهذا يقول عبد الله الركيبي في تعليقه على أسلوب الرواية "و أفضل ما في الرواية في تصوري هو أسلوب الكاتب ولغته السلسة الشاعرية في كثير من المواقف"<sup>2</sup>، فإنها استطاعت أن تكتسب ود القارئ تدريجيا، منذ أن فتحت عينيها واستطاعت أن تحقق نجاحا مبهرا، وتطورا، ونالت اهتمام القارئ لدى الطبقة الاجتماعية، البسيطة والمتقفة. ومع أن الرواية الجزائرية تأخرت في الظهور إلا أنها استطاعت أن ترسخ قدمها، وتصل إلى العالمية عن طريق روائيين تركوا بصمات في الأدب العربي وترجمت أعمالهم

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931م-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1983، ص. 191.

<sup>2</sup> عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1983، ص 199-200.

<sup>1</sup> مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصة للنشر، حيدرة -الجزائر-، د.ط، 2000، ص.3.

<sup>2</sup> محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983، ص 138-139.

إلى لغات عالمية عديدة، نذكر منها على سبيل المثال : الروائي واسيني الأعرج، والروائي الطاهر وطار والروائية أحلام مستغانمي وغيرهم<sup>1</sup>.

وكذلك العمل الذي تلاه المعنون ب "الطالب المنكوب " الذي ألفه عبد الحميد الشافي سنة 1951م و"الحريق " الذي ألفه الكاتب رشيد بوجدره سنة 1957م، وعمل محمد صنيع الذي قام بتأليفه سنة 1967م والمعنون ب " صوت الغرام" وبعض الأعمال الأخرى التي وإن ساهمت في مستوياتها الفنية، إلا أنها تبقى بحسب الدارسين كما سبق وأشارت إليه، عبارة عن محاولات سردية لم تصل بنضجها إلى المستوى الفني للرواية الحديثة<sup>2</sup>، يمكننا بأي حال من الأحوال الاستغناء عن المرجعيات التأديبية والتأصيلية لدراسة تطور البناء السردى للرواية الجزائرية الحديثة، فلا بد من البحث عن البدايات الفعلية لهذا الجنس الروائي في الجزائر لأننا بفعل ذلك نتمكن من دراسة تطور المسار السردى للرواية الجزائرية عبر تجلياتها المختلفة والمتنوعة وعلى امتداد محطاته التاريخية، وخاصة فيما يتعلق بالعامل الأشعاري وأثره على الساحة الأدبية، دون أن ننسى محاربه للمقومات الوطنية، ومنها اللغة العربية، وقد يكون هذا السر وراء التقاطع اللغوي واللهجي في هذا النص، أي الجمع بين الفصحى والعامية . وهو ما جعل العديد من النقاد يصفونها في منزلة من المنزلتين، بين الرواية الفنية والقصص الشعبي، فإنها لا تعد أن تكون مجرد محاولات أولى على درب هذا الفن.

لهذا فان جميع الفنون النثرية الجزائرية ابتداء من القصة ومرورا بالمسرحية والرواية إلى المقالة الأدبية والأبحاث النقدية، فقد تطورت تطورا كبيرا، وليس هذا التطور دليل على تفوق الأدب الجزائري

<sup>1</sup> عبد القادر شريف بموسى، الفهرس البيوغرافي للرواية الجزائرية (1947-2015)، إصدارات دار اي-كتب، لندن، د.ط، 2017، ص 5.

<sup>2</sup> واسيني الاعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ( بحث في الأصول التاريخية الجمالية للرواية الجزائرية )، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986، ص 17-18.

المعاصر بقدر ما هو دليل على قدرة الأدب الجزائري الحديث على مواكبة النهضة العامة للشعب الجزائري<sup>1</sup>.

في حين نجد في فترة الستينات إلى فترة السبعينات يمر الأدب الجزائري بعد تلك المحاولات بفترة جمود فقد "تعرضت شخصية الأدب الجزائري إلى هزات عنيفة كادت تفقدها عمل المقومات والملاحم، لأنها لم تستطع أن تواجه الغزو الثقافي بنفس العتاد الذي جاء به الاحتلال في انتقامه ولم تستطع أن تطور ذاتها بالطريقة التي يفترضها تخطيط العدو وبرامجه"<sup>2</sup>.

كما عرفت مرحلة النضج ميلاد نماذج روائية مكتملة فنيا في أنظار الباحثين أنجزت سنة 1970 م للمؤلف عبد الحميد بن هدوقة تحت عنوان "ريح الجنوب" والتي اعتبرها جل الباحثين والمهتمين بالأدب الجزائري أول رواية مكتوبة باللغة العربية، ممثلة لمرحلة النضج نظرا لانفتاحها لشروط الفن الروائي الذي لم تتوفر عليها الكثير من النماذج الروائية التي سبقتها ظهورا، كما عرفت هذه المرحلة -مرحلة النضج- ميلاد نماذج روائية أخرى على غرار "ما لا تذروه الرياح" للمؤلف عبد العالي عرعار والتي الفت سنة 1972 م، وكذا روايتي اللاز والزلزال للروائي الطاهر وطار اللتان الفتا سنة 1974 م<sup>3</sup>. و جاءت الرواية في فترة الثمانينات والتي تميزت بتنوع النصوص وغزارة الإنتاج الروائي وتباينه من حيث خصائصه الروائية ومن بين روايات هذه الفترة رواية "الحوات والقصر" للطاهر وطار عام 1980، ورواية "الجارية والدرابيش" لعبد الحميد بن هدوقة عام 1983م، ورواية "سهيل الجسد" لامين الزاوي سنة 1983 م،

<sup>1</sup> محمد مصاييف، النثر الجزائري الحديث، ص 120.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط 5، 2007، ص 22.

<sup>3</sup> بوراس منصور، البناء الروائي في أعمال محمد العالي عرعار الروائية، ص 13.

ورواية "رائحة الكلب" للجيلالي خلاص عام 1985 م، ورواية "معركة الزقاق" لرشيد بوجدره عام 1986 م، وقد صدرت روايات كثيرة في هذه الفترة<sup>1</sup>.

وقد تطورت الرواية الجزائرية وانتقلت في مرحلة التسعينات إلى السعي عن رحلة البحث عن التصدير الإبداعي، خاصة وتعتبر هذه التي تسمى العشرية السوداء وهي فترة مهمة في تاريخ الجزائر<sup>2</sup>. ولقد كانت فترة التسعينات حافلة بالروايات التي تحاول أن تأسس لنص روائي تبحث عن تميز إبداعي مرتبط بتميز المرحلة التاريخية التي أنتجت وبالواقع الاجتماعي الذي شكل الأرضية، وما تردد في روايات التسعينات تصوير وضعية المثقف الذي وجد نفسه سجين بين نار السلطة وجحيم الإرهاب، فكل النصوص الروائية التي ظهرت في فترة المحنة حاولت أن تعكس ما يتعرض له المجتمع<sup>3</sup>، وهي رواية تتخذ من المأساة الجزائرية بؤرة سردها<sup>4</sup>، ومن بين الأعمال الروائية لهذه الفترة هي رواية "ذاكرة الجسد" للروائية أحلام مستغانمي التي الفت سنة 1993 م، ورواية "الشمعة والدهاليز" للطاهر وطار التي ألفها سنة 1995 م ورواية "المراسيم والجنائز" التي ألفها الروائي بشير مفتي سنة 1998 م<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> شريط نورة، تطور البنية السردية في الرواية الجزائرية الحديثة (1970م-2002م)، ص 22.

<sup>2</sup> محمد بكاي، اثر توظيف المصطلح الصوفي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص 303.

<sup>3</sup> شادية بن يحيى، الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع [www.diwanalarab.com](http://www.diwanalarab.com)

<sup>4</sup> بوشوشة بن جمعة، جدلية الوطن (المنفى وذاكرة الرهانات الخاسرة في رواية شرفات بحر الشمال)، مجلة العلوم الإنسانية، المعهد العالي للغات، تونس، 2004، ص 96.

<sup>1</sup> محمد بكاي، اثر توظيف المصطلح الصوفي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص 304.

ونجد أن الرواية الجديدة تميزت عن التقليدية، أنها تثور على كل القواعد والأصول، وترفض كل القيم والجماليات التي سادت سابقا في كتابة الرواية التي أصبحت توصف بالتقليدية، وقد أصبحت للرواية الجزائرية خاصة، أهمية جوهرية ومؤثرة في زمننا الإبداعي<sup>1</sup>.

كما استعان بعض الروائيين الجزائريين بالحرف الفرنسي في كتابة رواياتهم وقد كانت بداية ظهور الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، برواية "احمد بن مصطفى القومي" لصاحبها القايد بن شريف سنة 1925 م، ورواية "راقصة أولاد نايل" للروائي سليمان بن إبراهيم بمشاركة ايتيان دينيه سنة 1929 م، كما كان لبعض الروائيين ومن خلال كتاباتهم شعور بانتمائهم لفرنسا، وهذا ما أفصح عنه الروائي رابح الزياتي في رواية "بولدوار الشاب الجزائري"، كما نجد بعض الأقلام الروائية التي كتبت بالحرف الفرنسي ومن أهم الأعمال التي تناولت ذلك "مريم بين النخيل" عام 1936 م<sup>2</sup> ومنه قد شكلت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ظاهرة ثقافية ولغوية متميزة وأثارت بذلك حولها جدلا كبيرا بين النقاد والدارسين<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سليمة نوني، البنية السردية في الرواية الجزائرية، رسالة ماجستير تخصص نقد حديث ومعاصر، قسم اللغة العربية والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2016/2015، ص.37

<sup>2</sup> خليفة هوارية، نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وإشكالية الهوية والانتماء، مجلة دراسات معاصرة، المركز الجامعي تسميلت - الجزائر، العدد 2، 2017، ص. 78.

<sup>3</sup> سعيدة بشار، تحول صورة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ("الانطباع الأخير" و"بما تحلم الذئاب" نموذجا)، مجلة الخطاب جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة 1-، العدد 1، د.ت، المجلد 13، ص 114.

# الفصل الأول

سرد الوطن في رواية أربعون عاما في

انتظار إيزابيل

## المبحث الأول: قراءة في مفهومي السرد والوطن

1. مفهوم السرد

2. مفهوم الوطن

3. الوطن كموضوع سردي - نماذج -

## المبحث الثاني: سرد الوطن من التاريخ إلى القصة

## المبحث الأول: قراءة في مفهومي السرد والوطن

إذا كان الأدب هو لسان الفرد المعبر عن إحساسه ومشاعره وأفكاره وآرائه، فإنه كذلك لسان الوطن المعبر عن واقعه، ويقصد بهذا الواقع: المجتمع بمكوناته الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهنا يقدم لنا الأدب صورة واضحة المعالم تزيدنا فهماً بالمجتمع، ومعرفةً بهومومه وتطلعاته. ولا شك أن ذات الأديب الفردية المنتجة للأدب، عبر العاطفة والفكر والخيال، وعبر النفاذ إلى الطاقات الجمالية الكامنة في جوف اللغة، هي التي تعكس لنا صورة ذلك الواقع معبرة عن الذات الجماعية. من هنا فإن الوطن، باعتباره ممثلاً للواقع المكاني والزمني، النفسي والفكري، للذاتين الفردية والجماعية، ظل يشكّل وجوداً أصيلاً في خارطة التجربة الأدبية على مرّ العصور. فما من أديب، شاعرٍ كان، أو روائي، أو قاص، أو مسرحي، أو كاتبٍ قديماً أو حديثاً، إلا وكان الوطن قضية مهمة من قضاياها، وموضوعاً مركزياً في تجربته، خاصة إذا أحس الأديب بالغرابة الجسدية والنفسية عن وطنه.

## 1. مفهوم السرد

يعد مصطلح السرد من بين المصطلحات التي حظيت باهتمام الدارسين والنقاد وشغلت فكرهم، فالسرد يشكل نسيجاً في بناء النص، حيث يقول إبراهيم صحراوي في كتابه السرد العربي القديم: « السرد هو الربط المتقن بين أجزاء الشيء » ، أي عملية ربط عناصر السرد وبشكل متناسق ومتتابع ومنظم.<sup>1</sup> كما يمكن تعريف السرد على أنه: " دراسة القص واستنباط الأسس التي تقوم عليها وما يتعلق بذلك من نظم التي تحكم إنتاجه وتلقيه".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنىات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2008، ص 31.

<sup>1</sup> ميجان الرويلي، سعد البازغي. دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2005، ص

السرد أو القص أيضا : "هو فعل يقوم به الراوي الذي ينتج القصة وهو فعل حقيقي أو خيالي ثمرته الخطاب، ويشمل السرد على سبيل التوسع مجمل الظروف المكانية والزمنية والواقعية والخيالية التي تحيط به".<sup>2</sup>

وهو أيضا " الحديث أو الأخبار (كمنتج وعملية وهدف وفعل بنية وعملية بنائية) لواحد أو أكثر من واقعة حقيقية أو خيالية من قبل واحد أو اثنين أو أكثر (غالبا ما يكون ظاهرا) من الساردين وذلك لواحد أو أكثر (ظاهرين غالبا) من المسرود لهم.<sup>3</sup>

## 2- مفهوم الوطن

كلمة الوطن فتعني في القديم المنزل الذي يحل به المرء وينزل فيه مع أهله أو عشيرته، لان تجمع العرب في بقعة ما كان على أساس بشري قبلي لا جغرافي مكاني، وقد يكون موطن الإنسان هو مسقط رأسه ومكان أهله وأقربائه سواء أكان خيمة أم مغنى، انه المكان الذي أمضى فيه المرء طفولته وفتوته.<sup>4</sup> وقد عرّف الجرجاني الوطن في الاصطلاح بقوله: "الوطن الأصلي هو مولد الرجل والبلد الذي هو منه، وطن الإقامة موضع أنه يستقر فيه خمسة عشر يوما أو أكثر من عشر أن يتخذ مسكنا".<sup>1</sup> كما يعرف على أنه "مساحة الأرض أو المنطقة التي يرتبط بها الشعب ارتباطا تاريخيا طويلا، فهو المنطقة التي تولد لنا الهوية الوطنية للشعب، وليس المنطقة الجغرافية التي ولدت فيها أمته".<sup>2</sup>

<sup>2</sup> عز الدين مناصرة، علم النواص المقارن نحو منهج عنكبوتي تفاعلي، دار الكتب مجدلاوي، عمان، ط1، 2006، ص 3.

<sup>3</sup> جerald برنس، المصطلح السردى، ترجمة عابد خزندار، القاهرة، ط1، 2003، ص 145.

<sup>4</sup> محمد زغينة، الأبعاد الموضوعية والخصائص الفنية في سجينات شعراء جمعية العلماء المسلمين، دار نوميديا، الجزائر، دط، ص 68.

<sup>1</sup> علي بن محمد الجرجاني، معجم التّعريفات، تح: الرّمخشري، دار الكتب، القاهرة/مصر، (د ط)، (د ت)، ص 212.

<sup>2</sup> محمد العرابي، الوطن في الذّهنية العربية بين الماضي والحاضر، مجلة اللّغة العربية، المجلس الأعلى للّغة العربية/الجزائر، العدد 36، ص 180.

الوطن حديثاً : أما الوطن بمعناه السياسي المعاصر فلم ينشأ إلا مع نشوء القوميات، وتكتل الجماعات، وظهور النظم، هو في أدنى مفهوم معاصر له انه ارض يقطنها شعب أمره واحد وتجمعه جوامع الماضي وتوحده خصائص وقيم منها : الدين، اللغة، التاريخ والمصير المشترك، فينتقل الوطن بهذه البنية من معناها الذي اغتدى الآن معجميا خالصا، إلى دلالة جديدة هي الحقل الذي يستقبل الدموع ويتقبلها وإنما هو بحكم العلاقة الناشئة عن الدلالة الأصل مكان تخصب فيه الدموع وتتغازر حتى تمرع، فقد أصبح الدمع في قوله : " صار الدمع بعيني وطنا".<sup>3</sup>

ومع تطور الأيام والعصور اكتسب الوطن مفهوما آخر أكثر تطورا فأصبح يعني البقعة الجغرافية المعينة بحدودها وبشرها، وكذا تاريخها، وبهذا اتسع مفهوم الوطن إذ أصبح يعني حدود دولة مستقلة وكل ما في هذا الوطن، وقد يكون المعنى اشمل إذا قصد بالوطن وطن قومية من القوميات كالوطن العربي مثلا.<sup>4</sup>

كما نجد مفهوما آخر للوطن انه عبارة عن مركز المصلحة العامة لجماعة متضامنين يشعرون بحاجتهم إلى التعاون في دفع الضار وجلب النافع.<sup>5</sup>

### 3. الوطن كموضوع سردي - نماذج -

#### أ- الوطن في ثلاثية محمد الديب

يتجلى الوطن في ثلاثية محمد الديب وهي " الدَّار الكبيرة " الذي ظهرت عام 1952 و"الحريق" عام 1954 أمّا "النُّول" عام 1957 م من خلال معاناة الشعب الجزائري وآلامه في العهد الاستعماري خاصّة

<sup>3</sup> عبد المالك مرتاض، بنية الخطاب الشعري -دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية، ص 43.

<sup>4</sup> محمد زغينة، نفس المرجع، ص68.

<sup>5</sup> محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1986، ص101.

أواخر الثلاثينات مع مطلع الحرب العالمية الثانية "عوام الشر"، كما يسميها الجزائريون كذلك؛ حيث عبّرت عن صوت الطبقة المحرومة والمنكوبة وأصوات المجتمع والوطن والثورة.

برز محمد الديب إلى قضية مهمّة من القضايا أبرزها قضية التأكيد على الانتماء للوطن من خلال استحضار الأبعاد التاريخية والحضارية؛ حيث عمدت السلطات الاستعمارية إلى تجهيل المجتمع الجزائري وطمس معالم شخصيته الوطنية ومحاربة كلّ مقومات هويته الجزائرية من دين ولغة وتاريخ وانتماء بسياسات قمعية تعسّفية.

وجد الوطن في دار السبيطار من خلال شخصيات تاريخية كانوا صورة للجزائر الذي أدلّها الاستعمار وسلب أراضيها ومارس عليها سياسة التّفكير، عن طريق الخبز، في رحلة البحث عنه عن طريق الجوع، من خلال ما كان يقع في المدرسة مع الأطفال، بحثهم عنه فكانوا منبهرين بما يخبرهم به الفتى صاحب المكانة العالية إدريسا خوجا، الذي يمثّل أحد أبناء المستعمرين الأغنياء.

وجد هذا على لسان الكاتب: "كان الأطفال يقفون مبهوتين أكثر في الأبصار، وهم يستمعون إلى حديثه المليء بذكرياته الأطعمة... إنّ الأعين كلّها تشخص إليه وتفحصه تفحصا غريبا، ويسأله أحدهم أكلت وحدك قطعة كبيرة من اللحم هكذا ! أكلت وحدي قطعة من اللحم..."<sup>1</sup>

وأیضا في صورة الجوع والفقر "تنصبّ في طبق معدني كبير حساء...، وهو حساء الشعيرية المفتّنة والخضار ولا شيء غير هذا...."<sup>1</sup>

لهذا كان حلم الجزائريين ككل إبان الاستعمار هو لقمة خبز لكي يسدّ جوعه، إضافة إلى المعاناة؛ حيث كانت العائلة تستخدم طريقة التّفشّف في المال الرّهيد الذي كانت تجنيه مريم وعيوشة.

<sup>1</sup> سامي الدروبي، ثلاثية محمد الديب (الدار الكبيرة الحريق النّول)، دار الوحدة، بيروت/لبنان، ط 1، 1985، ص 17.

<sup>1</sup> سامي الدروبي، المصدر نفسه، ص 26.

ونجد أمرا آخر تجلّى فيه الوطن من خلال الخبز الذي يعدُّ الرّكيزة الأساسية لدى عيسى وعمر؛ حيث كان الخبز عنده كلّ شيء وكانت أحلامه لا تذهب إلى أبعد من هذا؛ حيث يعدُّ رمزا للوطن المغتصب الذي على الجميع أن يسعى لاستعادته من المستعمر الظالم.

كذلك نجده في الهوية وعن الشّعور بالوطنية من خلال الدّرس الذي قدّمه المعلّم حسن" وما السرُّ في اختيار عنوان الدّرس والوطن، لماذا اغتاز عمر عندما سمع إبراهيم ينطق كالبيضاء، فرنسا هي أمنا الوطن، هل كان يعلم أنّ فرنسا ليست بوطنه الحقيقي...الوطن هو أرض الآباء، هو البلد نسكنه منذ أجيال...<sup>2</sup>

وورد كذلك في شخصية عمر؛ حيث نجدها تمثّل جيلا إلى الحياة وإلى الواقع في ظلّ الاستعمار وهذا من خلال مشاعره الوطنية الحية وذلك بسبب القسوة التي كان يتعامل بها المحتلّ للمواطنين، ورصده لنا لسيرة عمر؛ حيث يضيف معلومات اجتماعية مستيقظة عن طريق التّصريح ملمّا لنا بذلك إلى المعارك الطبّيقية القادمة وإلى دور العمّال البارز وواعدا لنا بتحوّلات اجتماعية فريدة.

كذلك وصف الجوع: "إنّ هذا الطّعام الذي التهموه قد أثار جوعهم، تخاطف الأولاد الصّحن، وراحوا يجفّفونه في همة ونشاط، استطاعوا أن يحصلوا على بضع قطرات أخرى من الحساء، وكان لا بدّ لهم بعد ذلك من الاستعانة بالماء يملئون به معدّتهم..."<sup>1</sup>

وتجلّى في منع تدريس باللّغة العربية ونجده من خلال الأستاذ حسين تخطّى المحظور وتكلم بالعربية" ليس صحيحا ما يقال لكم من أنّ فرنسا هي وطنكم."<sup>2</sup>

<sup>2</sup> سامي الدّروبي، المصدر السابق، ص 19-20.

<sup>1</sup> سامي الدّروبي، المصدر نفسه، ص 37.

<sup>2</sup> سامي الدّروبي، المصدر نفسه، ص 25.

دار السبيطار تعبير عن الجزائر ورمزا للوطن، ما كان يعاش في دار السبيطار يطابق لما يحدث في الجزائر من خلال سكّانه" دار السبيطار أشبه ببلدة، بحكم أبعادها التي كانت واسعة جدًا فإنّه لم يكن في المستطاع الجزم تحديدا بعدد المستأجرين الذين يأوون إليها...."<sup>3</sup>

واقترن الوطن أيضا بصورة الأمّ، وهي نموذج للمرأة العاملة المناضلة، الأمّية، التي منعت من التّعليم، ولكن الوضع الوجودي جعلها في امتحان صعب أمام مسؤوليات كبار في مناخ إشهاري قد ورّعتها ضروب الحياة بسبب توفير لقمة العيش وإشرافها على البيت.

وشخصية حميد السّرّاج يمثّل الإرهاص الحقيقي الثّوري الذي يسبق ثورة التّحرير، ونجده يدعو العمّال إلى الثّورة ورفض واقعهم، وكان يدعوهم إلى مواجهة المستعمر الفرنسي؛ حيث كان مطاردا من قبل الشّرطة، "فقد أحسّت الشّرطة فجأة أنّ دار السبيطار قد تحوّلت إلى صفّ العداوة... دار السبيطار التي عكّر نومها وراحتها، صارت تكشّر عن أنيابها".<sup>4</sup>

فقد كان القائد السّيّاسي ومصدر قلق وفوضى للفرنسيين، ومنه الأمل وغرس بذور الثّورة في الجزائريين والتي كانت لأفكاره أثرا كبيرا على ذهن عمر من خلال تساؤلاته وأفكاره التي طرحها في نفسه. وقضية تكوين وتعليم التّلاميذ الجزائريين بلغة المستعمر وهذا ما جرى في حديث عمر مع الرّجل الفرنسي حين سأله عن أبوه ما اسمك؟ ما عمل أبيك؟ قال ذلك في غموض وذهول "أنّه لم يلق هذا السّؤال إلّا ليقول شيئا ما، فأجابه عمر بأنّ أباه قد فارق الحياة! فسأله مرّة أخرى ما عمرك! فردّ أحد عشرة سنة ثمّ التفت إلى عمر ثانية سائلا: أين تعلّمت الكلام بالفرنسية؟ فيجيب عمر في المدرسة يا سيّدي<sup>1</sup>.

<sup>3</sup> سامي الدّروبي، المصدر السابق، ص 47-48.

<sup>4</sup> سامي الدّروبي، المصدر نفسه، ص 21.

<sup>1</sup> سامي الدّروبي، المصدر نفسه، ص 28.

كذلك هدم العقيدة الدينية وغرس في أبناء المجتمع الجزائري، الثقافة الغربية" الحديث الذي دار بين

شول وزبيبت؛ حيث تحدّث شول وعزم عليه أن يسكر".<sup>2</sup>

أمّا فيما يتعلّق بجزء الحريق تجلّى الوطن فيها من خلال انتزاع المستعمر أخصب الأرض من

الشّعب وتسليط الضّرائب عليه" لتسديد الضّرائب كان ينبغي الحريق".<sup>3</sup>

كذلك حالة الفقر نجدها في الحريق: "يشكّل هذا الخبز واللّبن لمدّة عدّة أيّام في الأسبوع السّائل

اليومي، أحيانا أخرى تترك الأطراف تغطس في الماء، يحتلّ الجنس شيئا فشيئا لينفتح كلّ قطعة تبدو

ضخمة وتصبح هشّة...."<sup>4</sup>

والنّظرة الدّونية الذي كان المستعمر الفرنسي يراها للفلاح الجزائري عندما دهس الفلاح بآلة

لمستوطن فرنسي إذ قال المستوطن: " أمّا هؤلاء فيجب أن يعودوا جميعا إلى أعمالهم... سأتولّى شرح

الأمر لرجال الدّرك بنفسي فيفهمون أنّ الحادث يرجع إلى الطّبيب الفلاح".<sup>5</sup>

الحريق يرمز للتحرّر ويرمز للوطن الحر، وهو ليس ذلك الحريق الذي أتى على بئى بوبلان وفقط،

بل هي رياح الحرب التي بدأت تهب على الجزائر سواء الحرب العالمية أو الثّورة التّحريرية .

أمّا في الثّول نجد شخصية عكاشة الذي كان أكثر تماسكا بالشّعب وارتباطا فقد كان أكثر ثقة

بالشّعب وبطموحاته ومتيقّنا بأنّه سينهض في يوم الأيام من سباته ويحمل راية النّصر، نجد هذا على

لسانه: " لقد أصبح شعبنا شديد الإحساس بآلام الإهانات التي تحملها في الحاضر والماضي... أصبح

شديد الإحساس إلى حدّ يصعب إدراكه".<sup>1</sup>

<sup>2</sup> سامي الدّروبي، المصدر السابق، ص 317.

<sup>3</sup> سامي الدّروبي، المصدر نفسه، ص 152.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 277.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 277.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 370.

شخصية الجدّة أمّ الخير من خلال حياتها الماضية، شخصية تصل زمن الماضي: "إنّ حياة الجدّة أمّ الخير يرجع عهدها إلى تلك الأيام المتوحّشة، أيّام الحرية، التي سبقت مجيء الفرنسيين، إنّ أمّ الخير عليمة بما كان عليه ماضيها".<sup>2</sup>

### ب- الوطن في رواية "وطن من زجاج" لياسمينه صالح

في عتبة البداية نجد سؤالاً في أول سطر من الرواية تقول (كيف نحب وطننا يكرهنا؟) وهذا السؤال تعبيراً عن عما كانت تعيشه الجزائر من أزمات في فترة من الفترات فالرواية تتحدث عن أزمة الجزائر في فترة التسعينات كما عرجت عن بعض الأوقات من الثورة. بداية بشخصية "عمي العربي" يحكي عن نفسه... عن قصة حب قديمة وحميمة الحكاية التي بدأت معه في الرابع عشر أكتوبر الجزائر 1944 أيام أشعلت المظاهرات في العشرين من العمر وجد نفسه يتحول من مجرد شاب إلي مقاوم... وفي الواحد والعشرين وجد نفسه مسئولاً في خلية سرية تابعة لجبهة التحرير الوطني للقيام بمهمة دقيقة وخطيرة، وتطهير الوطن من العملاء والخونة وليجد متعة في قول تلك الجملة التي عاش لقولها: حكمت عليك الجبهة بالموت يا كلب! ثم يطلق الرصاص من مسدسه ويمضي نحو خائن آخر.

ياسمينه صالح كتبت رسائل مليئة بالفجيعة صورت فيما معاناة الإنسان بلغة غارقة في الشعر والثورة والإدانة الصريحة التي تخفي وراءها مخزوناً لا يخلو من التعقيد حيث عبرت عن شعب كان يعاني من فقدان هويته وانتمائه لوطنه في وقت تعرضت فيه وحدة الوطن واستقراره إلى التصدع خلال الأزمة وما تعج به من أحداث مأساوية تحت سطوة لغة الموت المفاجئ، ويمكن وصف عملها الروائي بأنه تجربة إنسانية كاملة عرضاً ووصفاً صاغت عبرها الصراعات المألوفة ضمن بنية فكرية تستند إلى مفهوم فقدان الهوية، الوطن، وتفكك الذات وتمزق الوطن.

<sup>2</sup> سامي الدروبي، المصدر السابق، ص 137.

ومن أهم الأمثلة التي تبرز في الرواية عن التمسك بالهوية والانتماء للوطن نجد :

"لأجل أن انتصر بالحب ولأجل أن أعيش في وطن وجدته فيك".<sup>1</sup>

فالروائية تبحث عن صورة مثالية للوطن وترفض كل ما يشوبه أو يحاول تشويه وجهه ليبقى في

نظرها شفافا نقيًا، فعلى الرغم مما تحمله رؤيتها لحاضره من مأس وجراح وآلام تدين عبرها الواقع بكل

تناقضاته، إلا أنها تظل حتى النهاية متمسكة بنظرتها التفاؤلية يحذوها الأمل في غد مشرق ويتجلى ذلك

في قول الكاتبة : " لا أحد يعرف متى تنتهي دموع الوطن لكن الوقت يمضي نحو ذلك الغد الذي لم أعد

قادرا على الكفر به بعد اليوم .لم يعد ممكنا ألا أكون استثنائيا من جديد وألا أكتب افتتاحيتي هذا المساء

لأجل أن ينتصر الحب على سوداوية الكون والمدينة والأشياء".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ياسمينة صالح، وطن من زجاج، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2006، ص 175.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 175.

## المبحث الثاني: سرد الوطن من التاريخ إلى القصة

ترصد الرواية فترة زمنية هامة من تاريخ الجزائر، تمتد على أربعة عقود من الخمسينيات وحتى التسعينيات من القرن الماضي، فتحكي عن أهم أحداثها السياسية وانعكاساتها على "جوزيف"، الرجل الأوروبي الذي يعيش في بلدٍ أحبه، وتخلّى من أجله عن بلده الأصلي. وتكون النقطة التي يختارها الكاتب للدخول إلى شخصية بطله وكشفها أمام القارئ وتفكيكها، هي مرحلة "العشرية السوداء"، حيث البطل/ الراوي يعيش صراعه الداخلي وهو يودّع ذكرياته في البلاد، مقررًا العودة إلى فرنسا، مكرهاً لا رغباً.

ترمز الجزائر في الرواية إلى وطن سي جوزيف فحبه لهذا البلد يستدعي حضوره في كل شئ في تاريخه في ذاتيته في كل شئ مرتبط بهذا الوطن ماضيا وحاضرا .

"جوزيف رينشار "محارب فرنسي سبعينيّ، ومناضل سابق ضد النازية في الحرب العالمية الثانية، يقرر في بداية الخمسينيات من القرن العشرين السفر إلى الجزائر، حيث نلمس ذلك في قوله : (.. في هذه المدينة الصهباء والمتوحدة، التي وصلت إليها شتاء 1951 ، بدعوة من شاب سيصير رفيقي وشريك وجودي تعرفت عليه جنديا في الكتيبة التي كنت أقودها سنوات الحرب العالمية الثانية).<sup>1</sup>

لا يتردد في مدّ يد العون للمجاهدين ومناصرة الثورة التحريرية الجزائرية، ومساعدة الرفاق في الفرار والتخفي عن أعين الشرطة الفرنسية، فقد آمن بعدالة القضية الجزائرية كما آمن بفكرة استقلالها ووقف في وجه السياسة الكولونيالية لبلده الأم وحاربها، وبهذا يكون قد استحق أعلى مراتب الشرف، ونال باستحقاق وجدارة شرف البقاء والعيش فوق أرض عشقها، ودافع عنها وأنفق فيها أكثر من نصف عمره.

هذه الصورة التي يرسمها سعيد خطيبي لبطله، الذي يتوج مسيرة حياته واستقراره في مدينة بوسعادة باعتناقه الإسلام على غرار كثيرين من بني قومه أغرتهم الجزائر بجمال صحرائها وطيبة أهلها.

<sup>1</sup> سعيد خطيبي؛ أربعون عاما في انتظار إيزابيل، منشورات صفاف/بيروت، منشورات الاختلاف/الجزائر -، ط01 ،

يعيش جوزيف ما تبقى من أيامه المعدودات من إقامته في بوسعادة في الفترة التي بدأ التشدد الديني، والكلام باسم الله يتغلب على صوت الحكمة والتعقل. أدرك أن البلد على شفير الهاوية، فقدّر أنه لا يملك موضع قدم في الأرض التي دافع عنها، واستقر بها لأربعين سنة خلت. إن الجو المشحون والانغلاق الهوياتي التي شهدتها الجزائر منذ نهاية الثمانينيات طرحت سؤال الهوية بعنف في الرواية فالبطل حائر في أمره هل هو جزائري أم فرنسي، وطني أم خائن؟ كما جعله يطرح سؤال المصير في ظل حكم الأوليغارشية البغيض.

رصدت الرواية من بدايتها حالة الاغتراب الروحي والثقافي لذات البطل التي تعيش بين وطنين : وطن الهوية، ووطن آخر هو فضاء الغربة والبحث عن تلك الهوية المفقودة، إنها أزمة تشظي الهوية بين وطنين، يقول : ( ربما أخطأت يوم قررت المجيء إلى هذه المدينة المعادية لنفسها، لست مستعد لإعادة سرد أربعين عاما من الشك والارتياب ومن الأسئلة الوجودية، فقد كنت دائما أطرح على نفسي السؤال نفسه لماذا أنا هنا ولست هناك؟<sup>1</sup>..

ويستذكر "جوزيف" لحظات مهمة في حياته فقد شارك وعاش وعاش أحداث تاريخية كبرى ذكرها في سردها لها. فهو يبرز لنا حقائق التاريخية ومعرفة ما يجري في المدينة -الوطن - حين قال :

"شهدت الحرب العالمية الثانية، صافحت الجنرال شارل ديغول ونظرت في عينيه وتبادلت كلمات قليلة معه، عرفت حرب الجزائر، مظاهرات ماي 1968 ، تابعت حرب إسرائيل عام 1967 ، رد العرب عام 1973، خطابات هواري بومدين الصاخبة، غضب أكتوبر 1988 ، حرب الخليج الأولى ثم حرب الخليج الثانية، سقوط جدار برلين"<sup>2</sup>، في موضع آخر يقول : " ...خرج شاب أسمر، شعر كثيف ولحية خفيفة، من بين الحشد، كان طويل القامة، يرتدي قميصا أبيض... وقف أمامهم، رفع ذراعيه إلى الأعلى،

<sup>1</sup> الزاوية، ص 12 .

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 30.

وراح يلقي عليهم عبارات، وهم يرددونها... لا اله إلا الله... محمد رسول الله! لا ميثاق لا دستور... قال الله قال الرسول! لا دراسة لا تدريس، حتى يروح الرئيس".<sup>1</sup>

ترك البطل السارد" جوزيف" قرار بقائه أو رحيله من الجزائر بيد القدر والأيام القادمة هي التي ستحسم في الأمر، فما بيده حيلة ويتجلى ذلك على لسان قوله: (غير قادر على تحديد المصير الذي يتحتم علي القبول به)<sup>2</sup>.....(كان يجب ألا أجد نفسي هنا في حفرة تحمل صفة مدينة)<sup>3</sup>.

كان قرار المغادرة والرحيل غصبا عن البطل وصديقه، لم يغادرا رغبة في المغادرة، بل القدر هو الذي أجبرهم على ذلك بعد تدهور الوضع السياسي في البلاد، ولم يكن البقاء خيارا متاحا البتة، فقد قرر الرحيل قبل أن يرحل لحفظ ما تبقى من ماء وجهه.

وهذا ما ظهر في الرواية من خلال أحاديثه وحواراته الذاتية أو مع "سليمان" خاصة والتي سنذكر

بعض المواضع منها:

(الخوف يحتم عليا الكتابة...أو أخفف على نفسي حدة القلق من المستقبل القريب)<sup>4</sup>، فجوزيف لجا إلى الكتابة لمواجهة خوفه الداخلي الناتج جراء القلق النفسي من مستقبله في الجزائر، (سأكتب لأنسى أنني سأرحل من هذه الأرض قهرا)<sup>5</sup>، فهو يكتب ليتناسى فكرة ترحيله وتهجيريه من وطنه الجزائر الذي استقر فيه طوال أربعين سنة . حتى انه تمنى الموت (كان من الأفضل أن أموت... هكذا كنت سأوفر

<sup>1</sup> - الرواية، ص 135.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 17.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 151.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 14.

<sup>5</sup> - الرواية، ص 15.

على نفسي القلق والخوف والضعف)<sup>1</sup>، وتوقف الزمن بدل مغادرته الجزائر كرها (تمنيت لو أن الوقت يتوقف عن الدوران وتنتهي كوابيسي، بقدرة قادر، وبأقل الأضرار)<sup>2</sup>.

وحتى صديقه الذي ينتمي عرقيا لهذا البلد كان مجبرا لا مخييرا لمغادرة الوطن رغم محاولاته بإخفاء اضطرابه (حاله لا يختلف عن حالي، مضطرب وقلق، لكنه يخفي قلقه)<sup>3</sup>، (لم يهرم مثلي، ولم يصب بالأرق)<sup>4</sup>.

إلا أن جوزيف استسلم لأمر الواقع في آخر الأمر ولم يكن بيده سوى الرحيل (الاستعداد بحنكة وحكمة للأمر المهم أن لا أغضب ولا أحزن ولا أبك)<sup>5</sup>، (ولا أدرك ماذا علي أن أفعل، هل كان يجب علي أن أفرح أم أحزن؟ أو أتظاهر كما لو أن شيئا لم يحصل؟)<sup>6</sup>.

عبر أطوار الرواية أهم ما يشدنا، تذكر " جوزيف " عبارة الراهب الفرنسي الذي ذهب لزيارته لأخذ رأيه في قرار الاستقرار في الجزائر، وجاء وصف هندامه ومظهره الخارجي بأنه يرتدي بذلة سوداء بحزام أبيض على الخصر<sup>7</sup> هذا الأخير استشرف وتأول رحيله وعودته إلى فرنسا مهما طال به الزمن (...). سنتعب من الترحال ثم تعود من حيث أتيت...<sup>8</sup>، وما كان لوقع تلك العبارة على نفس " جوزيف " فهي جعلته في حيرة من أمره وتساؤل دائم لما قال له ذلك؟ ولما اعتقد أنه سيرحل؟ سيتعب من استقراره بالجزائر وهذا ما حدث بالفعل فجراء تعب النفسي وأرقه جراء الانتخابات قرّر الرحيل والعودة من حيث جاء.

<sup>1</sup>-الرواية، ص 18 .

<sup>2</sup>- الرواية، ص 20 .

<sup>3</sup>- الرواية، ص 16 .

<sup>4</sup>- الرواية، ص 19 .

<sup>5</sup>- الرواية، ص 17 .

<sup>6</sup>- الرواية، ص 137 .

<sup>7</sup>- الرواية، ص 34 .

<sup>8</sup>- الرواية، ص 37 .

يلوم "جوزيف" نفسه بسبب قدومه إلى الجزائر وإلى مدينة بوسعادة على وجه الخصوص، وترك منزله في الضاحية الباريسية بفرنسا، ليوضح لنا أن قرار استقراره بالمدينة الشهباء كما وصفها كان يفوق قدرته البشرية بل كان سبب قدرة إلهية تدعى القدر وأن ما كان بيده حيلة سوى الرضا وانتظار مصيره المحتوم وجاء ذلك في لسان تعبيره : (مضطر للعودة من حيث جئت)<sup>1</sup>. (.... المتاهة اتسعت والممرات ضاقت، والتفكير في العودة صار أمرا مرهقا، الوضع انقلب والتاريخ انتقم منا، ابتعدنا عن سنوات الأمل التي عشناها في الأربعين سنة الماضية)<sup>2</sup>. (.... ليتنا لم نصل ونفكر فيها قط)<sup>3</sup>. (.... أنا الآن بعيد عنها، وهي ازدادت نفورا مني)<sup>4</sup>. ( ...أفنت نفسي... أن الأيام القادمة ستكون أفضل، وأكثر رحمة بنا من الأيام الماضية)<sup>5</sup>. (...بنية التفكير في الرحيل أو الترحيل)<sup>6</sup>.

أربعين عاما كلها قضاها "جوزيف" بالجزائر والتي كان ملؤها الوسوس والفقر واللااستقرار النفسي والغربة التي عانى منها طوال هاته السنين. أربعين عاما غير أنه لم يشعر يوما بالانتماء والراحة النفسية فيه بل على عكس ذلك كان يشعر بالغربة واللاانتماء، وكان للمكان أثر كبير في التأثير على نفسية "جوزيف" وهذا ما ظهر واضحا وجليا في أطوار الرواية، إذ أن الراوي "جوزيف" وصف مدينة بوسعادة التي يقطن بها بأبشع الأوصاف في مواضع كثيرة، وكان يصف لنا حالتها الطبيعية والهندسية وأنها مدينة صهباء تكسوها الرمال وتعترئها الرياح الرملية، وكذا تحتوي على واحات وأشجار النخيل، وهو حال كل المناطق الصحراوية، طريقة الوصف التي اعتمدها "جوزيف" في حديثه عن هاته المدينة يدل على نقمه عليها فلا يترك مناسبة إلا ويصفها بأبشع الصفات، فهو ناقد على سكانها بالدرجة الأولى والذي تحول في

<sup>1</sup>- الرواية، ص 13.

<sup>2</sup>- الرواية، ص 153.

<sup>3</sup>- الرواية، ص 138.

<sup>4</sup>- الرواية، ص 139.

<sup>5</sup>- الرواية، ص 138.

<sup>6</sup>- الرواية، ص 139.

نظرة أنها قد تنكرت له بعد أربعين عاما من الاستقرار فيها، فهو يعتب عليها لمحبتته فيها من جهة ومن ندمه على المجيء إليها من الأصل وظهر ذلك جليا في مواضع كثيرة :

( من هذه المدينة الترابية البكماء)<sup>1</sup> . ( ...المدينة المعادية لنفسها)<sup>2</sup> . (...عن نخيل المدينة ورملمها وناسها البسطاء)<sup>3</sup> . (... في هذه المدينة الصهباء والمتوحدة)<sup>4</sup> . (... حفرة تحمل صفة مدينة)<sup>5</sup> . (... ففي هذه المدينة المتكورة حول نفسها)<sup>6</sup> . (... في هذه المدينة الفضة والجادة)<sup>7</sup> . (... لواح المدينة، ونخيلها وسواقيها)<sup>8</sup> . (... ونعيش مجددا شتاء هذه المدينة المتعجرفة)<sup>9</sup> . (... في هذه المدينة مصفرة الوجه)<sup>10</sup> .

يعبر " الحاج عبد الله جوزيف" عن الوحدة التي يشعر بها ويعايشها والغربة التي عانى منها في الجزائر وكذا فرنسا معا.

ففي وطنه الجزائر يشعر بالتية ويظهر ذلك جليا في الازدواج الموجود في الهوية الدينية والثقافية والفكرية فتارة هو مسلم وهو دين الوطن البديل وتارة هو مسيحي وهو دين وطنه الأصلي ويظهر ذلك جليا في قوله : (...وامتنعت منذ أربعين عاما عن الاحتفال بعيد القديسين في الفاتح من كل شهر نوفمبر، وتغاضيت عن عيد الفصح، وعيد الصعود، وعيد الخمسين، وانتقال العذراء، وكل المناسبات

<sup>1</sup> - الرواية، ص 12.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 13.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 14.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 14.

<sup>5</sup> - الرواية، ص 17.

<sup>6</sup> - الرواية، ص 22.

<sup>7</sup> - الرواية، ص 30.

<sup>8</sup> - الرواية، ص 31.

<sup>9</sup> - الرواية، ص 39.

<sup>10</sup> - الرواية، ص 55.

الكاثوليكية الأخرى، التي ورثتها من أمي ومن طفولتي في فرنسا، تنازلت عنها)<sup>1</sup>، (...طويت الورقة، استغفرت الله)<sup>2</sup>، (...قبل أن تأكل أذكر اسم الله ! كما لو أن تلك العبارة المقدسة والمبتكرة بحسب الطلب، كفيلة بحمايتي من البكتيريا ومن الفيروسات، ومن أمراض خبيثة لا حول لي بها ولا قوة)<sup>3</sup> . (...صوت أذان الفجر وصلني خافتا متذبذبا ورخوا، يحث على الكسل، لا على الاستيقاظ)<sup>4</sup>، (...أنا الكائن الوحيد الذي يزور من حين لآخر الكنيسة المتوحدة الباردة والصامدة وسط المدينة، التي تستميت في مكانها منذ قرن ونصف القرن، أزورها بحب أرملة مخلصنة لزوجها، أحمل إليها شموعا وأوقدها بنفسي، أنفض الغبار على الكراسي الخشبية وعلى الصليب وأصلي)<sup>5</sup>، (...أصلي صلوات سريعة وقفلة، أدعو الرب أن يجنبي أنا وسليمان كل مكروه، ثم أرسم إشارة الصليب وأخرج مهرولا)<sup>6</sup>، (...سوف أصوم يوما أو بعض يوم، كما كنت أفعل دائما)<sup>7</sup>، (... فشلت في القيام كما لا يليق بمسلم حافظ لحزب من القرآن)<sup>8</sup>، (...كنت أتعامل معهم كما لو أنني كنت مسلما مطيعا لقواعد الإسلام الخمس)<sup>9</sup>، (...لكنني نجحت في تقمص الدور في كسب ود الجيران وسليمان)<sup>10</sup>.

وفي حديث الراوي البطل "جوزيف" عن نفسه قال: (...ويبيدي اليسرى أعدل شاشي المتدلي، الذي

لبست معه قميص صوف وصدريّة وسروالا عريضا، أو "سروال عرب" كما يسمى عادة)<sup>11</sup> .

<sup>1</sup> - الرواية، ص 131.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 105.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 109.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 20.

<sup>5</sup> - الرواية، ص 52.

<sup>6</sup> - الرواية، ص 52.

<sup>7</sup> - الرواية، ص 128.

<sup>8</sup> - الرواية، ص 130.

<sup>9</sup> - الرواية، ص 129.

<sup>10</sup> - الرواية، ص 130.

<sup>11</sup> - الرواية، ص 65.

هيئة " جوزيف " ومظهره يظهر لشخص عربي ريفي متمسك بالتقاليد بامتياز، فمن يراه بهيئته هاته لا يصدق أنه رجل أجنبي، وهذا ما يوضح التداخل الهوياتي بين الفرنسية والجزائرية التي يشعر بها " جوزيف " داخله فهو فرنسي بهيئة جزائري وهذا الصراع بين الهويتين الذي يشعر به داخله والذي لاحظناه واضحا وجليا في الرواية.

السكان المحليون لم يكونوا يروا أن " جوزيف " واحدا منهم رغم أنه قضى معهم أربعين سنة كاملة من عمره وسطهم، بل كانوا ينظرون إليه دائما وأبدا ذلك الأجنبي الذي استولى على حق من حقوقهم وملكية من ملكياتهم وعليه الرحيل والمغادرة مهما طال الزمن، وهذا ما يفسره جفاءهم معه وقلة حديثه وتواصلهم معه، (... تعلم العربية وحفظ القرآن وخالط الناس ووقف إلى جانبهم، في محنهم وفي ماتمهم، أطعمهم بعضا من رزقه، فقد ظلوا ينظرون إليه غريبا أجنبيا، بعين الريبة، يتوجسون منه، مثلي أنا تماما)<sup>1</sup>، (...مع تأميم ممتلكات الأجانب، وإعادة توزيعها عليهم بالعدل، هم - طبعاً- لن يستثنوا بيتي من قائمة التأميمات ولن يولوا اهتماما للأربعين عاما التي قضيتها بينهم)<sup>2</sup>، (...هو من النوع الذي يراني أجنبيا روميا، وليس مسلما كامل الإسلام)<sup>3</sup>.

(الناس يترصدون كل حركة لشخص يعتقدون أنه لا ينتمي للمدينة... هم يرفضون كل القادمين... ومن الممكن أن يضعونني في سلة واحدة معهم، وينفضوا أيديهم مني)<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- الرواية، ص 12.

<sup>2</sup>- الرواية، ص 13.

<sup>3</sup>- الرواية، ص 42.

<sup>4</sup>- الرواية، ص 132.

(المدينة كلاوها البرانية الأجانب، قال عبد الكريم طيطي محدثا أحد أصدقائه، كما لو أنه يقصدني).<sup>1</sup> (...أولاد الكلاب يعتقدون أنني من بقايا الاستعمار... سيندمون عما راودهم من سوء ظن تجاهي أو اتجاه سليمان)<sup>2</sup>.

وقد كانوا ينتظرون رحيله بفارغ الصبر للاستيلاء على بيته وممتلكاته التي - حسبهم - ممتلكاتهم ولا نقاش في ذلك وهذا ما فسرتة عملية السرقة والسطو الذي تعرض له بيت "جوزيف" بمجرد رحيله، "قضى الأوغاد أربعين عاما ينتظرون رحيلي، أنا وسليمان، ليسطوا على البيت، ويسرقون كل ما فيه : الثلاجة، والتلفاز وبعض الملابس والأثاث والأواني، لم يتركوا شيئا"<sup>3</sup>.

يعيش "جوزيف"، حالة من الازدواجية واضطراب الهوية، تجعلنا في أحيان كثيرة نتساءل عن حقيقته وأي اتجاه يتجه بالفعل، فعبر صفحات الرواية يحكي عن أيام المجد في حياته والتي كانت قبل مجيئه إلى بوسعادة بثمان سنوات والأوسمة الشرفية التي نالها هناك في فرنسا أيام الحرب العالمية، كان باديا عليه من حديثه الحنين إلى أيام العز والبطولة الحربية أيام الشباب والقوة " لما كنت أتلقي الأوسمة الشرفية في باريس: وسام صليب.... قدمت نفسي، بثقة وهدوء، .... عام 1943 " <sup>4</sup>.

لكنه يتحدث عن الغربة التي سيلاقيها هناك في باريس فأربعين عاما التي قضاها هنا في الجزائر كانت كفيلة بأن تغير كل شيء في الجانب الآخر بباريس . تغير العادات، تغير الطرق والمنشآت، تغير الأذواق، وتغير النفوس كذلك، فقد أصبح شخصا منسيا من طرف أقاربه وأحبابه ومعارفه فيقول : " لم ينتظرنني أحد في المطار بباريس، ولن أجد واحدا من الأقارب ليساعدني في الاندماج مجددا في الحياة،

<sup>1</sup> - الرواية، ص 132.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 132.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 152.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 21

...بلا روح"<sup>1</sup>، " في الشهر الأول، الذي أعود فيه إلى شوازي لوروا البعيدة، سأحاول أن أنام لأنسى، ... ومدينتها وعائلتها"<sup>2</sup>.

ويتمد سؤال الوطن إلى شخصية إيزابيل ايبرهارت المتخيلة، وهي الشخصية الحاضرة الغائبة في هذه الرواية، حيث يسرد الراوي حياتها فهي مثل " الحاج جوزيف" ضاعت بين بلدين لم يمنحها سوى التشتت في الهوية. البطل جوزيف مهووس بحياة المستشرقة المغامرة إيبرهارت وقيامه بترجمة مخطوط يومياتها النادر الذي اشتراه من موظف البلدية الجاهل بقيمته إلى لوحات زيتية، تعرفه أكثر بهذه المرأة المسترجلة التي سلبت عقله منذ أول لقاء يرتبه لهما الكاتب عبر مخطوطها " إيزابيل كانت صورة مؤنثة منّي، نصرانية متأسلمة، قلقة وملعونة، لا هي أوروبية ولا هي عربية"<sup>3</sup>، وهنا أحسن الكاتب حين ربط بين مسيرة الحاج جوزيف والراحلة إيزابيل ايبرهارت. فهو يعتبر حياته وتيهانه وترحاله نسخة مكررة من حياتها، يتخيلها واقفة أمامه، متكررة بالزيّ الرجالي، تعيش مغامراتها الغرامية في غفلة من الزمن والبشر، وتجوب والآفاق والأمصاّر متسكعة متشردة في طول البلاد وعرضها ينطبق عليها المثل الشعبي الجزائري " عيشة راجل"، فتاة متمردة على المجتمع والدين والأعراف، ببساطة، أنثى بهرمونات ذكر حيث يقول : "أتخيل إيزابيل وهي تجلس القرفصاء قبالتني، ترتدي "برنوسا"<sup>4</sup>أبيض، من وبر الماعز، وتعلم بيرية باسكية سوداء اللون، مثل "البيرية"<sup>5</sup> التي اعتمرتها في فرنسا لسنوات، ثم غيرتها " بشاش"<sup>6</sup> في الجزائر"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - الرواية، ص141.

<sup>2</sup> - الرواية، ص142.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 26 .

<sup>4</sup> - البرنوس: لباس تقليدي جزائري منه للإناث ومنه للذكور قطعة قماش فضفاضة تغطي الرأس والجسم ويكون الرأس متصلا بالثوب لا حد بينهما.

<sup>5</sup> - البيرية: قبعة أوروبية الأصل يرتديها الرجال والنساء على حد سواء.

<sup>6</sup> - الشاش: قطعة قماش تغطي الرأس وهو لباس رجالي ويرتديه سكان الصحراء والبدوي.

<sup>7</sup> - الرواية، ص 31.

جمع في ملابسها وهيئتها بين البرنوس الجزائري التقليدي والأصلي الحر المصنوع بوبر الماعز، وبين البيرييه الفرنسي، ليوضح لنا أو يلمح لنا هوية إيزابيل إيبرهات الممزوجة بين الجزائرية والفرنسية وذلك الخلط الناتج بين الهويتين داخل شخصية "إيزابيل" والذي ترجم عن طريق الملابس .

والراوي يعرف ما يُشاع عن إيزابيل إيبرهات، "كانت الألسنة تنقلها من بلد إلى آخر، تتسبها في الصّباح إلى مخابرات بلد معيّن، ثم في المساء تنقلها لمخابرات بلد آخر، كانت بعض النسوة الغيورات منها يوشوشن في آذان أزواجهم بأنها جاسوسة " .

فمنّ ذا الذي يعرف أنها انتهت غريقة في واد نكرة، وربما في مدينة لا يعرفها إلا القليل. وإنه في كل الأحوال لا يريد أن يكون أسوأ منها " ولكن لم أكن أسوأ من إيزابيل التي كانت أكثر تطرفاً مني في علاقاتها مع عائلتها، ومع أمّها تحديداً، لقد صدمت من أحبّوها وصدمتني أيضاً يوم قرأت قصة حياتها المرقّعة بغدر وخيّنات من المقرّبين، لكن معاركها الداخلية، ونفورها من بعض أهلها، لم يمنعها في النهاية من أن تعيش حياتها كما يحلو لها، وتتقلّب في الدنيا الفسيحة بين المرات وانتهاك المحرّمات، وتجعل خصوماً لها يحبونها، أكثر فأكثر يوم رحيلها " يضيف " وقدّر لها أن تُدفن إلى جانبها شابة أخرى، عانت من واقع مؤبوء دفعها ذات عام إلى الانتحار في عاصمة الانتحار. إنها صفة كئوب، التي حطّقت بجناحها في عوالم الخيال، إلا أنها بقيت مشدودة إلى تربتها ترسم خريطة الوطن المغدور بالكلمات، وتبكي الثورة الموقّدة بقصص رمزية لا تموت".

فإيزابيل رغم ما يشاع عنها من منظور جوزيف إلا انه يؤكد أن إيزابيل "الأكيد أنّها لم تكن لتتخلّى عن قناعتها في الانتصار للمواطنين المدنيين، لمعذبي الأرض، وليس لأصحاب الزيّ الأزرق وأفراد الجيش، ولو كتبت فعلا مقالا بهذا الشكل كانت ربّما ستطرد من البلد، كما طرد صحافيون أجنب، بحسب ما سمعت .فعلا، ربما كانت إيزابيل إيبرهات ستطرد من الجزائر، أو تحاكم أو تسجن، لو تكلمت

عن ما يريد أصحاب الكراسي "1. فهي مثله تماما ... "فهاجرت إلى مرسيليا مرغمة ثم عادت منها إلى الجزائر، وفاء لسيرتها في النية والترحال، بعد ترسيم زواجها من حبيبها سليمان أهني"2 .

فهي كغيرها من المستشرقين أحبوا هذه التربة والتصقوا بها بعدما كانوا قد تخلّوا عن رغد العيش وملذّات الحياة في بلدانهم الأصلية، الا انها بعكس " سي جوزيف" حظيت بالموت في الجزائر وهو نوعا من الراحة الأبدية والخلص من قسوة الغربة بما تمثله من تشتت وضياع وفناء .كلماتي لن تبلغ إيزابيل، ولسان حال جوزيف يقول : "...فهي الآن تتلذذ بنومتها الصحراوية"3 .

كلا من جوزيف وإيزابيل احداثا قطيعة مع جذورهما الأصلية أي الوطن الأصلي وفي الوقت ذاته اخفقا في مد جذورهما في الأمكنة البعيدة.

1- الرواية، ص 96.

2- الرواية، ص 33.

3- الرواية، ص 27.

## الفصل الثاني

### الشخصية والوطن

**المبحث الأول : تمثل الشخصية الوطنية الجزائرية**

1. التاريخ

2. اللغة

3. الدين

4. العادات والتقاليد

**المبحث الثاني : تمثل الشخصية الأجنبية**

1. التاريخ

2. اللغة

3. الدين

4. العادات الأجنبية

إن البطل في أي عمل روائي هو المحور المركزي الذي لا يمكن تجاهله، فهو يسعى جاهداً إلى تجاوز كل شيء آخر ليثبت نفسه على أنه أساس العمل الروائي، الذي يقدمه السارد وفق رؤيته الخاصة وأسلوبه التخيلي. وهي عادة ما تكون مبنية على الواقع وتعبّر عن مجموعة من الآراء والرؤى الفكرية والفلسفية.

تعددت مفاهيم الشخصية الروائية، وقد جاء مفهومها في "معجم مصطلحات نقد الرواية" في أنها "كل مشارك في أحداث الحكاية، سلب أو إيجاب، ...عنصر مصنوع، مخترع، لكل عناصر الحكاية، فهي تتكون من جموع الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها، وينقل أفكارها وأقوالها<sup>1</sup>؛ بمعنى إن الشخصيات هي كل فرد شارك في الحكاية سواء كانت محورية أو ثانوية وهي مبتكرة من طرف الروائي . تعد الشخصية من أهم المكونات السردية، نظراً لامتلاكها مقومات تحرك بواسطتها أحداث العمل السردية، ومدى ارتباطها بالمكونات الأخرى مثل الزمان والمكان. إذ أن كل شخصية تمتاز بصفات مادية ومعنوية تستطيع من خلال هذه الصفات تحريك العمل السردية.

وظفت رواية" أربعون عاماً في انتظار إيزابيل "شخصية رئيسية واحدة، هي شخصية جوزيف، تعدّ الشخصية الرئيسية التي بنيت على أوتارها وكيانها مجريات الرواية وأحداثها، يحمل في ذاته شعورين : الرغبة في الانتماء وحبّ الوطن البديل، والصراع الداخلي وهو يودّع ذكرياته في البلد، مقرراً العودة إلى فرنسا، وطنه الأصلي مكرها لا راعبا .

رصدت الرواية المزيج الروحي والثقافي لذات البطل التي تعيش بين وطنين : الوطن البديل، ووطن آخر هو الوطن الأصلي، فالبطل حائر في أمره هل هو جزائري أم أجنبي، مسلم أم مسيحي ؟  
و ظهر ذلك عبر أطوار الرواية من خلال تجليات اللغة والدين، العادات والتقاليد .

<sup>1</sup>- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات النقد الرواية، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2002، ص115-114 .

### المبحث الأول : تمثل الشخصية الوطنية الجزائرية

جسدت شخصية جوزيف الذّاكرة التي لم تنس تاريخها، رغم عدم انتسابه لهذا الوطن عرقيا، كما هو حال سگان الجزائر الأصليين، فكان شاهدا على مجموعة من الأحداث التي توالى على وطنه الجديد وكان يومها شابا.

ترمز الجزائر في الرواية إلى وطن سي جوزيف فحبه لهذا البلد يستدعي حضوره في كل شئ في تاريخه في ذاتيته في كل شئ مرتبط بهذا الوطن ماضيا وحاضرا، لغة ودينا .

### 1. التاريخ

التاريخ هو التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة ووفاة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحج وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم واستقبالهم ويلتحق به ما يتفق من الحادث والوقائع الجلييلة من ظهور ملمة، وتجديد فرض، وخليفة، ووزير، وغزوة، وملحمة، وحرب، وفتح بلد، وانتزاعه من متغلب عليه، وانتقال دولة، وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء، وغير ذلك من أمور الأمم الماضية، وأحوال القيامة ومقدماتها ؛ أو دونها كبناء جامع، أو مدرسة، أو قنطرة، أو رصيف، أو نحوها، مما يعم الانتفاع به مما هو شائع مشاهد، أو خفي سماوي، كجراد وكسوف وخسوف وخوف، أو أرضي كزلزلة وحريق وسيل وطوفان وقحط وطاعون وموتان وغيرها من الآيات العظام والعجائب الجسام<sup>1</sup>.

وعليه نجد أن كلمة تاريخ تحمل في العربية منذ زمن بعيد ستة من المعاني وهي<sup>2</sup> :

1- سير الزمن والأحداث أي التطور التاريخي.

2- تاريخ الرجال . أي التراجم.

<sup>1</sup>- عواطف بنت محمد نواب، ، مقرر مادة - المدخل إلى علم التاريخ، 2012، ص 3.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص3-4.

3- عملية التدوين التاريخي أو التأريخ ووصف التطور وتحليله.

4- علم التاريخ والمعرفة به.

5- تحديد زمن الواقعة أو الحادثة باليوم والشهر والسنة.

6- تراث القوم تمثيل الشمائل الأساسية فيهم مثل قولهم : فلان تاريخ قومه.

وبالتالي فإنه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بل عما كان في العالم.

جوزيف سارد هذه الرواية يحكي لنا عن السنوات التي قضاها في الجزائر، وعن فترة الأحداث التي

شكلت تاريخ الجزائر، من الثورة والاستقلال والتغيرات الرئاسية ومرحلة العشرية السوداء، ففي الرواية

إشارات تُحيل على هذا البُعد كإشارته إلى «شبكة فرنسيس جونسن» وغيرها " ... ابنة رفيق كان يعمل في

«شبكة فرنسيس جونسن» لدعم الثورة التحريرية...<sup>1</sup> .

ويقول : "عرفت حرب الجزائر، مظاهرات ماي 1968 ، تابعت حرب إسرائيل عام 1967 ، رد

العرب عام 1973 ، خطابات هواري بومدين الصاخبة، غضب أكتوبر 1998...<sup>2</sup>، وبيروي عن مدّ يد

العون للمجاهدين ومناصرة الثورة التحريرية الجزائرية، ومساعدة الرفاق في الفرار والتخفي عن أعين

الشرطة الفرنسية " ... ثم قربت بيننا حرب الجزائر، يوم وقفنا معا إلى جانب المجاهدين أو «الفلاقة» كما

يسمونهم، نقلنا سلاحا ورسائل وأوينا مناضلين وطنيين، جنبنا بعضا منهم السجن...<sup>3</sup>، " ... كمقاوم للنازية

ثم للاستعمار...<sup>4</sup>، وحتى عن معاشته لفترة الاستقلال الحديثة " ... تعيدني إلى ثلاثين سنة خلت،

فغداة الاستقلال، ساد الخوف المدينة، خوف يشبه خوفي الآن، كان المناضلون القدامى يتوجسون من

بعضهم البعض، والناس يشعرون بخوف من أن يكون احدهم هدفا لتصفية جسدية. كان زمن الفرح

<sup>1</sup>- الرواية، ص 147.

<sup>2</sup>- الرواية، ص 30.

<sup>3</sup>- الرواية، ص 83.

<sup>4</sup>- الرواية، ص 96.

بعودة الأرض، والخوف من فقدها برصاصة غضب أو ضربة سكين، تسوية لحسابات قديمة<sup>1</sup>. ومساهمته غداة بناء الجزائر المستقلة "...إنني صرفت مالا وبذلت جهدا من اجل رجالات الثورة التحريرية، وأني تصدقت بنصف ما املك من مال، عقب الاستقلال، لصندوق الدولة، للمساهمة في إنعاش الاقتصاد، دفعت مالا أكثر من قيمة بعض القلادات والخواتم التي تبرعت بها نسوة ميسورات بعد عام 1962...<sup>2</sup>، "...و بعد أسبوع واحد من انقلاب هواري بومدين على أحمد بن بلة عام 1965...<sup>3</sup>.

وأما عن مرحلة العشرية السوداء فيروي جوزيف في عدة مواضع عن هذه الفترة فيروي أحداثها التي عايشها " ...في خطبة جمعة للشباب الذين خرجوا في مظاهرات 5 أكتوبر 1988، بالمتشردين وقطاع الطرق، وقتها جاءت جماعة من الشباب الغاضب، كانوا ستة أو سبعة شبان، لست اذكر تحديدا، وهددوه بالقتل، فجاء سريعا الأمر بإعفائه من مهامه وحول للعمل في معهد تكوين الأئمة : « معهد الحاج السبتي » حماية لروحه، وجاء مكانه الإمام الحالي، الذي شارك الشباب بخطب خشنة في الدعوة للتظاهر يوم 5 أكتوبر، ... في ذلك اليوم الكئيب، بقيت أنا وسليمان معتكفين في البيت، خوفا من التعرض لحادث أو لضرب بالعصي أو اعتقال عشوائي...<sup>4</sup>، وفي موضع آخر يقول جوزيف " وبقيت انظر، بعينين منبهرتين إلى شباب الحزب وكل واحد منهم يمسك بيد الآخر، ككتيبة من مشجعي كرة القدم، ويهتفون بأصوات عالية ومفرعة : « الله اكبر! الله اكبر ! نصر عبده واعز جنده وهزم الأحزاب وحده».<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - الرواية، ص 88.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 131.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 20.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 92.

<sup>5</sup> - الرواية، ص 134.

## 2. اللغة

اللغة احد مكونات الهوية، فهما متلازمان مثل وجهي العملة الواحدة لا يمكن الفصل بينهما لان

ذلك يقود إلى " الإخلال بالهوية والسقوط في الضياع المؤدي إلى التلاشي التدريجي " <sup>1</sup>.

وقد عرفها بن تيمية بأنها: أداة تواصل وتعبير عما يتصوره الإنسان ويشعر به، وهي وعاء

للمضامين المنقولة، سواء أكان مصدرها الوحي، أم الحس، أم العقل، وهي أداة لتمحيص المعرفة

الصحيحة، وضبط قوانين التخاطب السليم. <sup>2</sup> ويستفاد من تعريف ابن تيمية للغة السمات التالية:

- أن للغة وظيفة اتصالية وتعبيرية .

- أن لها علاقة بالعقل والتصور والمشاعر .

- أن للغة أهمية في نقل المعرفة وتمحيصها.

ويعرف الجرجاني اللغة بأنها: عبارة عن نظام من العلاقات والروابط المعنوية التي تستفاد من

المفردات والألفاظ اللغوية بعد أن يسند بعضها إلى بعض، ويعلق بعضها ببعض، في تركيب لغوي

قائم على أساس الإسناد. <sup>3</sup>

ومن جانبه فقد عرف الدكتور محمد علي الخولي اللغة بأنها: نظام اعتباطي لرموز صوتية تستخدم

لتبادل الأفكار والمشاعر بين أعضاء جماعة لغوية متجانسة. <sup>4</sup>

ورغم تعدد تعريفات اللغة حسب معرفيها ولكنهم اتفقوا على أن اللغة هي الأصوات التي نعبر بها

عما نريد ونحتاج في حياتنا، وهي وسيلة التواصل بين بني البشر، فبواسطتها نستطيع التفاعل والتفاهم

<sup>1</sup>- ينظر : عبد الرزاق الدواي وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات ثقافية تاريخية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2012، ص 250.

<sup>2</sup>- نور الله كورت، ميران أحمد أبو ال هيجاء، محمد سالم العتوم . اللغة العربية (نشأتها ومكانتها في الإسلام، وأسباب بقائها)، جامعة بنغول، 2015، ص 132.

<sup>3</sup>- نور الله كورت وآخرون، مرجع سابق، ص 133.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه، ص 134.

بغض النظر عن اختلافها من قوم لقوم، ومن مكان لمكان، إلا أنها في النهاية تؤدي نفس الوظيفة وهي التواصل.<sup>1</sup> ومما يستخلص من التعريفات العديدة للغة التي تم تناولها، والتطرق إليها أن اللغة هي ما يأتي :

- أن اللغة أداة الاتصال .

- أن اللغة أداة التخاطب والتفاهم .

- أن اللغة أداة للتواصل بين الأفراد والجماعات والأمم .

- أن اللغة أداة للتعبير عن المشاعر والعواطف والأفكار .

ومن خلال دراستنا للنص الروائي، أهم ما شدنا تعلم جوزيف خلال فترة مكوثه في مدينة بوسعادة لغة هذه المدينة ولهجاتها في الاستعمال اليومي وفي التكلم والتواصل مع الآخرين، فخلال أربعين عاما تعلم جوزيف اللغة العربية، لمد جذوره في هذا الوطن البديل .

فعبّر نصوص الرواية نرى أن جوزيف صنع لذاته بطولة لغوية، بلغة عربية وبعبارات مستوحاة من الواقع الجزائري ، وهذا ما ظهر في الرواية من خلال أحاديثه وحواراته الذاتية أو مع " سليمان " خاصة، فكان حتى يردد عبارات شعبية حين كان يتحدث مع صديقه سليمان " الدنيا دارة، هكذا كنت اردد في أحاديثي معه " .<sup>2</sup>

فجوزيف تعلم العربية وصار يتقنها حديثا وكتابة "تعلمت لغة العرب أحسن منها، صرت اكتبها قليلا وأتكلمها كثيرا واسب واشتم بها بإتقان " .<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- نور الله كورت وآخرون، مرجع سابق، ص 133.

<sup>2</sup>- الرواية، ص 13.

<sup>3</sup>- الرواية، ص 27.

تعلم حروف الهجاء والأسماء والأفعال " وتعلمت العربية، على يد الشيخ البردعي، في المسجد الكبير، الذي نطقت فيه الشهاداتين، على اللوح وبالكتابة بالصمغ، علمني الشيخ البردعي، بصبر وحنكة، حروف الهجاء والأسماء والأفعال، وكنت ادفع له كل نهاية شهر ورقة 20 فرنكا يفرح بها... " <sup>1</sup> .

حتى انه يستحضر ويتخيل شخصية إيزابيل ليهرها بمهارته اللغوية " حينها سأستغل الفرصة، وأعرض عليها ما تعلمته من لغة العرب، أرثل أمامها بعضا من صغار السور، «قل أعوذ برب الناس... « «قل هو الله أحد» ... و«لايلاف قريش» ..وسورة الأعلى التي أحفظها عن ظهر قلب". <sup>2</sup>

فجوزيف كان في أحاديثه مع سليمان، وحتى مع الجيران يردد بعضا من الأمثال الشعبية الجزائرية المعروفة في اغلب الممارسات اليومية "...وأنا اردد في سري المثل الشعبي : عاش ما كسب، مات ما خلى ...." <sup>3</sup> وفي موضع آخر يقول "...« رأسي ورأسه في شاشية واحدة » كما يقول المثل، « موسى واحدة تذبحنا » كما علق الميلود...." <sup>4</sup> .

وحتى بعد عودته إلى فرنسا ظل يتحدث بلغته التي استعملها طيلة أربعين عاما في الجزائر " وأتحدث مع سليمان بلغة حياتي السابقة بعربية ممزوجة بكلمات أمازيغية وأخرى فرنسية أو تركية، أتكلم في البيت بلغة، وفي الشارع، عندما اخرج لشراء خضر أو خبز، أتحدث لغة أخرى " <sup>5</sup> .

### 3. الدين

يعد الدين من أهم مرتكزات الهوية، فهو عنصر أساسي في تكوين الشعور بالانتماء. والدين تعددت وتغيرت المفاهيم المتعلقة به لاختلاف نوع الفكر المنتشر أو المنهجية الفكرية أو

المجال الذي يتبعه الباحث.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 27.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 31.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 103.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 144.

<sup>5</sup> - الرواية، ص 155.

إلا أنها تصب وتتفق على انه هو مجموعة أنظمة الاعتقاد والعبادة والمعاملات وتنظيم علاقة الإنسان بنفسه، وبأخيه الإنسان، وبالكون، وبخالق الكون والأديان - على افتراض تعددها - تتفاوت في تنظيمها لما يحتاجه الإنسان لتلبية الحاجة الفطرية، من دين قوامه العبادة وآخر قوامه التأمل وثالث قوامه الشكليات والطقوس.<sup>1</sup>

فالدين هو المنهج أو النظام الذي تقوم عليه حياة الناس العملية، وليس مجرد مشاعر وجدانية تعيش في الضمير، بلا سلطة وبلا تشريع، وبلا منهج محدد، ودستور معلوم الدين هو المنهج والنظام الذي يحكم الحياة وهو في الإسلام يعتمد على العقيدة.<sup>2</sup>

ومن قراءة الرواية نجد رغبة جوزيف في تأسيس هوية جزائرية، لذا اختار اعتناق الإسلام بما انه احد مكونات الهوية الجزائرية، وكان وجهته الجديدة طوعا لا كرها "يوم اعتنقت الإسلام ونطقت بتلعم الشهادتين، في المسجد الكبير، ثم أديت مناسك الحج، رفقة سليمان، في رحلة برية مضية، من هذه المدينة الترابية البكماء إلى مكة المكرمة".<sup>3</sup>

ويظهر جوزيف أيضا إسلامه من خلال طريقة دعاؤه إذ يروي قائلا "..شرعت في الدعاء وفي تكرار الشهادتين سرا، سائلا الله أن تمر الأمور على أحسن حال..<sup>4</sup>

وعلى الرغم من اعتناقه الإسلام وأدائه الركن الخامس من أركان الإسلام إلا انه خلال شهر رمضان لم يكن يؤدي فيه صيامه ( الركن الثالث) على أكمل وجه فكان يدعي انه صائم ويشتهي من

<sup>1</sup> - عبد الناصر بن موسى أبو البصل، تحرير المفاهيم والمصطلحات (الدين، الحرية، محكمات الشريعة، الانحرافات الفكرية)، مؤتمر الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة، رابطة العالم الإسلامي -المجمع الفقهي الإسلامي-، ص 18.

<sup>2</sup> - عبد الناصر بن موسى أبو البصل، مرجع سابق، ص 19.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 12.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 59.

مشقة ذلك "أصوم يوماً أو بعض اليوم، كما كنت افعل دائماً، واحتفل وقت الغروب، ساعة الإفطار بمأدبة

الأكل مع سليمان، أتلذذ بصحون «الشربة» و المرق و«الطحين الحلو» بالفواكه المجففة".<sup>1</sup>

لكن ندرك عبر لسان الراوي انه تخلى عن دينه المسيحي فهو لم يؤدي المناسبات الكاثوليكية طوال

الأربعين عاماً لارتباطه بدينه الجديد "وامتنعت منذ أربعين عاماً عن الاحتفال بعيد القديسين في الفاتح من

كل شهر نوفمبر، وتغاضيت عن عيد الفصح، وعيد الصعود، وعيد الخمسين، وانتقال العذراء، وكل

المناسبات الكاثوليكية الأخرى، التي ورثتها من أمي ومن طفولتي في فرنسا"<sup>2</sup>.

وحتى انه يوصي بدفنه مع المسلمين ويتجلى ذلك في " سأكتب الليلة وصية لسليمان، اتركها تحت،

اطلب منه أن يدفني في مربع المسلمين..."<sup>3</sup>.

#### 4. العادات والتقاليد

تعتبر العادات والتقاليد عن هوية المجتمع بطبيعة الحال، فهي بمثابة النظام الداخلي للمجتمع وما

اتفقت عليه الجماعة.

من خلال قراءتنا للرواية نجد فيها جوزيف يتمثل عادات وتقاليد هذه المدينة التي يقيم بها، ومن

ضمن ذلك اللباس، فجوزيف أضحى يرتدي ملابس تعبر عن أهل المنطقة التي يعيش فيها "...ألبس

برنوسا من وبر في الشتاء..."<sup>4</sup>، "... وييدي اليسرى اعدل شاشي المتدلي، الذي لبست معه قميص

صوف وصدريّة وسروالا عريضاً، أو سروال عرب كما يسمى عادة"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 128.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 131.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 155.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 24.

<sup>5</sup> - الرواية، ص 65.

كما نلمس انبهاره من العادات الاجتماعية، مثل زيارتهم لموتاهم في المقابر "يترددون عليها أيام

الأسبوع،

يزداد عددهم صبيحة كل جمعة، بعضهم يأتي حاملا طبق كسكسي، يوزع ملاعق منه على المارة، وعلى زوار المقبرة، طلبا للدعاء لواحد من الموتى، وآخرون يحملون معهم قارورات عطر محلية الصنع وقوية الرائحة، يرشونها على تربة القبور، وعلى الشواهد، إيمانا منهم بأنها تعطر روح الميت<sup>1</sup>.

وحتى أنه انغمس في أبسط عاداتهم فشاركهم الألعاب التقليدية ففي حديث الراوي عن نفسه " وفي

المساء أجلس في المقهى مع معارف، أعب معهم لعب «السيق» والدومينو والورق،...<sup>2</sup>.

كما تتضمن التقاليد والعادات الأطباق والمأكولات، وجوزيف على دراية تامة بأطباق البلدة التي

يعيش فيها، لانغماسه ضمن هذا المجتمع ".الأكلة التقليدية « زفيطي»، التي تصنع من خبز الرخساس

والطماطم والتوابل، ولا الطبق الشعبي «شخشوخة»، الذي يحضر بعجينة المسمن ومرق....<sup>3</sup>، وفي

موضع آخر يروي "قبل أيام، أخبرتني بأنها ستحضر لنا طبق « الشرشم»، بالقمح الصلب والحمص

والفول، بمناسبة رأس السنة الامازيغية الجديدة"<sup>4</sup>.

يمثل الوطن البديل للراوي هويته التي حاول اكتسابها خلال أربعين عاما ويتجلى ذلك في علاقة

وارتباط البطل جوزيف بالوطن الجزائري العادات والتقاليد الجزائرية وتعايشه معها حتى أصبحت جزءا من

هويته وشخصيته، من خلال احتكاكه بالأوضاع الوطنية، ومن خلال احتكاكه بأفراد المجتمع، ولعل خير

مثال على ذلك صديقه سليمان يمثل عائلته في الجزائر وكانت تربطه به علاقة روحية وأخوية.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 29.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 128.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 45.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 39.

ونجد أن شخصية إيزابيل لا تظهر كبطلة، فدورها في الرواية يكون من خلال فقط جوزيف، الذي كان يتحدث عنها وعن إنجازاتها، والذي كان لديها أيضاً عاطفة عميقة لوطنها الجزائر ارتبطت به من خلال تجاربها الخاصة وتجوّالها في الجزائر، وكتبت عنها وعن تاريخها المجيد، كتبت عن عاداته وتقاليده ودينه، فقبلتها دون أي مقابل.

## المبحث الثاني : تمثل الشخصية الأجنبية

ترمز فرنسا في الرواية إلى الوطن الأصلي لجوزيف. ومن خلال تتبعنا لمسار الرواية نلمس وجود كل من لغة وعادات ودين الوطن الأصلي للراوي.

### 1. التاريخ

فجوزيف سارد هذه الرواية يروي لنا عن السنوات التي قضاها في دياره فرنسا بداية شبابه وما عايشه من أحداث "هناك"، فقد كان بداية حياته "دركيا في فرنسا"<sup>1</sup>، كما يحكي عن مشاركته في الحرب العالمية الثانية أيضا ".أتلقي الأوسمة الشرفية في باريس : وسام صليب الحرب، وسام المناضل، وسام جوقة الشرف وميدالية الفارين، التي منحت لي تكريما لشجاعتني في الفرار من معتقل ألماني"<sup>2</sup>، وحتى انه يستذكر أيام صباه في بعض صفحات الرواية فيحكي عن وطنه فرنسا ".يمتلكني أحيانا حنين العودة إلى صباي، واستعادة ماض شكل بقعة ضوء من حياتي الفرنسية، أناس خسرتهم في التحولات الطارئة التي عشتها، أناس كثر مثل جارتنا اللطيفة كريستين، التي كانت تغدق علي بالهدايا في رأس العام، ولا تبخل علي بمنحي الجبن والحلوى، وأنجليك التي عملت لفترة قصيرة ممرضة في حي الضاحية الباريسية، الذي عشت فيه، والذي ربما سأعود إليه"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 12.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 21.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 79.

## 2. اللغة

وبقراءة الرواية نجد جوزيف لم ينسى ويتخلى عن لغته الأصلية، بل كان يكتب بها " .كتبت على ظهر اللافتة الكرتونية نفسها بالفرنسية..<sup>1</sup> ويستعملها "ثم شرعت في قراءة ما كتبه بفرنسية هادئة وبصوت مبجوح ...<sup>2</sup>."

## 3. الدين

وبالرجوع إلى الرواية، نجد أن جوزيف رغم اعتناقه ديناً غير دين والديه، إلا أنه ظل في مخيلته نصراني فرنسي، وقد تجلى هذا التردد في حسم دينه في استمراره بزيارة الكنيسة، التي هي رمز من رموز النصرانية " ...أنا الكائن الوحيد الذي يزور من حين لآخر الكنيسة المتوحدة الباردة والصامدة وسط المدينة، التي تستميت في مكانها منذ قرن ونصف القرن، أزورها بحب أرملة مخلصه لزوجها، أحمل إليها شموعاً وأوقدها بنفسي، أنفض الغبار على الكراسي الخشبية وعلى الصلبان وأصلي<sup>3</sup>، " أصلي صلوات سريعة وقلقة، أدعو الرب بأن يجنّبني، أنا وسليمان، من كل مكروه، ثم أرسم إشارة الصليب وأخرج مهرولاً، متجنباً المرور من البوابة الرئيسية، فأنا أدخل الكنيسة وأخرج منها خفية، كما لو أنني أدخل وأخرج من مكان مشؤوم، وأمشي بخطوات متسارعة، تجنباً لنظرات المارة الفضولية، المشككة في إسلامي<sup>4</sup>، " .و صرت كل السادس من أفريل من كل عام، اجتر أحزاني في يوم وفاتها، أشعل شمعة، في كنيسة المدينة الوحيدة والمتوحدة، لروحها وابتلع دموعي ...<sup>5</sup>."

<sup>1</sup> - الرواية، ص 28.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 157.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 52.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 52.

<sup>5</sup> - الرواية، ص 78.

كما كان لا يطيق الامتناع عن الأكل والشرب خلال شهر رمضان "يعرف أي لا أطيع الامتناع عن الأكل والشرب ثلاثين يوما كاملة، مع ذلك فهو يعض الطرف عني، ولا يجرني، كما كان يفعل في السابق، بالنصح والموعظة وترديد الحكم والآيات القرآنية والأحاديث النبوية"<sup>1</sup>.

#### 4. العادات الأجنبية

ومن خلال تصفحنا للرواية نرى أن جوزيف لم يتخلى عن بعض عاداته التي لا تمت لدينه الجديد بصلة، بل هي مرتبطة بثقافته الأصلية ".بل أيضا بشرب ما وصلت إليه يدي من نبيذ محلي أو فرنسي"<sup>2</sup>، وفي موضع آخر يروي "سليمان لم يكن يروقه رؤية قنينة خمر في الغرفة، أو في المطبخ، كان ينصحي بالتوقف عن الشرب"<sup>3</sup>، وحتى بما خص أكله فهو ظل يستهوي تناول منتجات فرنسية".و أنا امضغ خبزا وقليلًا من جبنة «الكونتي» القادمة من سهول جورا، شرق فرنسا"<sup>4</sup>، ".أكل جمبريا أو سردينا مجمدا كل يوم جمعة، يأتي في شاحنة شركة الأسماك، من الجزائر العاصمة وبجاية.."<sup>5</sup>. فلسان حال جوزيف يعلن بكل صراحة عدم تخليه عن عادات التي شب عليها من شرب النبيذ ويظهر ذلك حتى في طعامه فهو طيلة الفترة التي قضاها في الجزائر لم يتخلى عن المأكولات التي تملأ المائدة الفرنسية عادة خصوصا الأكلات البحرية وجبنة «الكونتي» أيضا التي هي منتج فرنسي .

وعبر سطور الرواية نخلص أن ما زاد جوزيف يقينا بعدم انتمائه لوطنه الجزائر أن سكان بوسعادة ظلوا يرونه ذلك الأجنبي الذي استولى على حق من حقوقهم وملكية من ملكياتهم وعليه الرحيل والمغادرة

<sup>1</sup> - الرواية، ص 128.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 23.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 23.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 23.

<sup>5</sup> - الرواية، ص 24.

مهما طال الزمن، وهذا ما يفسره جفاءهم معه وقلة حديثه وتواصلهم معه، "فقد ظلوا ينظرون إليه غريبا أجنبيا، بعين الريبة، يتوجسون منه، مثلي أنا تماما".<sup>1</sup>

رغم عودة جوزيف إلى وطنه الأصلي بعد أربعين عاما شيخا لم ترافقها عودة إلى الجذور الثقافية لهوية جوزيف "أنا فرنسي بلا انتماء"<sup>2</sup>، فهو يعتبر نفسه غريبا حتى عن دياره الأصلية بفرنسا "... ابتلع حبوبا منومة فلا تنفعني، لم أعود على الحياة الفرنسية التي غادرتها شابا ..."<sup>3</sup>، "...أربعون عاما قضيتها في الجنوب، وسنة جديدة بدأت، الآن، تلوح لي بمرارة من الشمال"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- الرواية، ص 12.

<sup>2</sup>- الرواية، ص 141.

<sup>3</sup>- الرواية، ص 154.

<sup>4</sup>- الرواية، ص 151.

خاتمة

نستخلص من دراستنا للعمل الروائي " أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لسعيد خطيبي ما يلي:

- أثارت الرواية المكتوبة في قلب المأساة جدلا واسعا حول التاريخ والهوية.
- سؤال الهوية طرح وتكرر طيلة صفحات رواية " أربعون عاما في انتظار إيزابيل " تعبيرا عن أزمة الذات والوطن.
- كما كان واضحا وجليا الحالة النفسية للبطل " جوزيف" والاضطراب والازدواج الهوياتي الذي عانى منهما- إن صح التعبير-، بالإضافة إلى شعوره الدائم بالغرابة ولا انتماء وذلك راجع خاصة إلى الطبيعة الصحراوية والبنية التحتية لمدينة " بوسعادة" والذي لم يستطع التأقلم معهما رغم مرور عقود من الزمن وكذلك شعوره هذا راجع إلى معاملة السّكان له حيث كانوا يتوجسون منه الحذر ويعاملونه معاملة سطحية واعتبروه أجنبيا غريبا على الدوام.
- إن الهوية اليوم لم تعد بناء منجزا ولا نموذجا مثاليا تفرضه فئة على أخرى، بل الهوية أصبحت إنجازا جماعيا يذوّب الآراء والقناعات في بوتقة واحدة، ويحتفي بثقافة الاختلاف والتعدّد والتشارك من أجل الحياة المشتركة في رحاب الإنسانية المنفتحة على جميع الأطراف. إن الهوية الجزائرية هي أكثر من ذلك فهي مطالبة بالاشتغال على الذاكرة ومراجعة الماضي وإعادة قراءة التاريخ في ضوء المعطيات والتطورات الحديثة، التي من شأنها أن تعمل على إعادة صياغة مفهوم الهوية المركّبة الجامعة، وتحرير التاريخ والعقل والذاكرة من جميع أشكال وروافد التشظي الهوياتي.

# قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ. القرآن الكريم :

1. سورة سبأ، الآية 11 .

ب. المعاجم:

1. علي بن محمد الجرجاني، معجم التّعريفات، تح: الزّمخشري، دار الكتب، القاهرة/مصر، (د ط)،  
(د ت).

ت. المصادر:

1. سامي الدّروبي، ثلاثية محمد الدّيب ( الدّار الكبيرة الحريق النّول)، دار الوحدة، بيروت/لبنان، ط  
1، 1985 .

2. سعيد خطيبي؛ أربعون عاما في انتظار إيزابيل، منشورات ضفاف/بيروت، منشورات  
الاختلاف/الجزائر -، ط01 ، 2016.

ياسمينه صالح، وطن من زجاج، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2006.

ث. المراجع:

1. إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنىات، منشورات الاختلاف،  
الجزائر، ط 1 .

2. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط 5،  
2007 .

3. بوراس منصور، البناء الروائي في أعمال محمد العالي عرار الروائية.

4. سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2، د.ت.
5. شريط نورة، تطور البنية السردية في الرواية الجزائرية الحديثة (1970م-2002م) .
6. الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، دار الجنوب للنشر، تونس، ط 2، 2004 .
7. عبد الرزاق الدواي وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات ثقافية تاريخية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط 1، 2012.
8. عبد القادر شريف بموسى، الفهرس البيوغرافي للرواية الجزائرية (1947-2015)، إصدارات دار اي-كتب-، لندن، د.ط، 2017 .
9. عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1، 1983.
10. عبد المالك مرتاض، بنية الخطاب الشعري -دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية .
11. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1988.
12. عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931م-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1983.
13. عبد الناصر بن موسى أبو البصل، تحرير المفاهيم والمصطلحات ( الدين، الحرية، محكمات الشريعة، الانحرافات الفكرية )، مؤتمر الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة، رابطة العالم الإسلامي -المجمع الفقهي الإسلامي-.
14. عز الدين مناصرة، علم النصاص المقارن نحو منهج عنكبوتي تفاعلي، دار الكتب مجدلاوي، عمان، ط 1، 2006.

15. عواطف بنت محمد نواب، ، مقرر مادة - المدخل إلى علم التاريخ، 2012.
16. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات النقد الرواية، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2002.
17. محمد بكاي، اثر توظيف المصطلح الصوفي في الرواية الجزائرية المعاصرة.
18. محمد زغينة، الأبعاد الموضوعية والخصائص الفنية في سجينات شعراء جمعية العلماء المسلمين، دار نوميديا، الجزائر، دط .
19. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1986 .
20. محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث.
21. محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983 .
22. مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصة للنشر، حيدرة -الجزائر-، د.ط، 2000 .
23. ميجان الرويلي، سعد البارغي. دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2005 .
24. نور الله كورت، ميران أحمد أبو ال هيجاء، محمد سالم العنوم . اللغة العربية (نشأتها ومكانتها في الإسلام، وأسباب بقائها)، جامعة بنغول، 2015.
25. واسيني الاعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ( بحث في الأصول التاريخية الجمالية للرواية الجزائرية )، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986 .

ج. المجلات:

1. بوشوشة بن جمعة، جدلية الوطن (المنفى وذاكرة الرهانات الخاسرة في رواية شرفات بحر الشمال)، مجلة العلوم الإنسانية، المعهد العالي للغات، تونس، 2004 .

2. خليفة هوارية، نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وإشكالية الهوية والانتماء، مجلة دراسات معاصرة، المركز الجامعي تسمسليت - الجزائر، العدد 2، 2017 .

3. سعيدة بشار، تحول صورة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ("الانطباع الأخير" و"بما تحلم الذئب" نموذجاً)، مجلة الخطاب جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة 1-، العدد 1، د.ت، المجلد 13 .

4. محمد العرابي، الوطن في الذهنية العربية بين الماضي والحاضر، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية/الجزائر، العدد 36 .

ح. الأطروحات والرسائل الجامعية:

1. سليمة نوني، البنية السردية في الرواية الجزائرية، رسالة ماجستير تخصص نقد حديث ومعاصر، قسم اللغة العربية والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2016/2015 .

خ. المواقع الإلكترونية:

1. شادية بن يحيى، الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع [www.diwanalarab.com](http://www.diwanalarab.com)

# الفهرس

## الفهرس

شكر وتقدير

إهداء

- 1..... مقدمة
- 3..... مدخل
- 5..... 1. مفهوم الرواية
- 7..... 2. تطور الرواية الجزائرية

## الفصل الأول

### سرد الوطن في رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل

- 14..... المبحث الأول: قراءة في مفهومي السرد والوطن
- 14..... 1. مفهوم السرد
- 15..... 2- مفهوم الوطن
- 16..... 3. الوطن كموضوع سردي - نماذج -
- 16..... أ- الوطن في ثلاثية محمد الديب
- 21..... ب- الوطن في رواية "وطن من زجاج" لياسمينه صالح
- 23..... المبحث الثاني: سرد الوطن من التاريخ إلى القصة.

## الفصل الثاني

### الشخصية والوطن

- 38..... المبحث الأول: تمثل الشخصية الوطنية الجزائرية

38	1. التاريخ
41	2. اللغة
43	3. الدين
45	4. العادات والتقاليد
48	المبحث الثاني: تمثل الشخصية الأجنبية
48	1. التاريخ
49	2. اللغة
49	3. الدين
50	4. العادات الأجنبية
52	خاتمة
54	قائمة المصادر والمراجع
58	الفهرس

الملحق

ملحق

## تعريف الروائي "سعيد خطيبي"

"سعيد خطيبي" من مواليد 29 ديسمبر 1984 ، بمدينة بوسعادة، كاتب وصحافي جزائري، عبر من الصحافة إلى الرواية بسلسلة كبيرة، حيث عمل في جريدة الجزائر نيوز حيث ساهم لمدة سنتين في تحرير الملحق الثقافي "الأثر" ثم انتقل إلى جريدة الخبر، درس في الجزائر، وفرنسا، وأتم دراسته العليا في السوسيولوجيا في جامعة السوربون عام 2011 ، يكتب باللغتين العربية والفرنسية، كما أنه أشرف لسنوات على إدارة تحرير مجلة "الدوحة الثقافية" . اشتهر خصوصا بتغطية مناطق النزاعات في افريقيا وأوروبا الشرقية، أسس موقع نفحة الثقافي.

علاقته بالأدب علاقة وطيدة، تكاد تكون علاقة وجودية، سافر من الجزائر إلى فرنسا ثم قطر ليستقر بعدها بسلوفينيا.

### مؤلفاته:

"بعيدا عن نجمة" (ترجمات شعرية لكاتب ياسين 2009 م).

"مدار الغياب" (ترجمات للقصة القصيرة الجزائرية 2009 م).

"أعراس النار" : قصة الراي 2010 م، اعتبر أول كتاب توثيقي حول موسيقى الراي.

كتاب "عبرت السماء حافيا" حوارات مع أشهر الكتاب الفرانكفونيون (باللغة الفرنسية 2011 م).

"كتاب الخطايا" روايته الأولى سنة 2013 م.

"جنائن الشرق الملتهبة" كتاب رحلات في دول الصقالبة 2015 م.

"أربعون عاما في انتظار إيزابيل 2016" م روايته الثانية تحدث فيها عن بعض الفترات التي تركت أسئلة

علقت في ماضي الجزائر تلك الأسئلة التي لم يجب عنها التاريخ الرسمي، إيزابيل القاورية التي أحببت

الجزائر ولم يرحمها الجزائريون.

## الجوائز التي نالها:

- حاصل على جائزة ابن بطوطة للرحلة المعاصر، 2015م.
  - جائزة الصحافة العربية 2012 م.
  - جائزة ابن بطوطة للرحلة المعاصرة 2015 م.
  - جائزة كتارا للرواية العربية ( فئة الروايات المنشورة ) العام 2017 عن رواية " أربعون عاما في انتظار إيزابيل".
- سعيد خطيبي "في بداية المشوار، مازال ثلاثينيا لم يركن إبداعه وشغفه في حظيرة النهاية والانجاز المظفر.

## ملخص الرواية:

تدور أحداث الرواية حول شخصية " جوزيف ريتشارد "الجندي الفرنسي الذي شارك في الحرب العالمية الثانية، رفقة صديق عمره " سليمان بلهوم " الجزائري، ليأتي بعدها إلى الجزائر بدعوة من سليمان ويشارك في الثورة التحريرية ضد المستعمر الفرنسي، ليقرر بعدها البقاء والاستقرار في مدينة بوسعادة بعد عثوره على مخطوط "إيزابيل ايبهرارت " تلك المستكشفة والكاتبة والرحالة السويسرية المتحررة التي توفيت في فيضان طوفاني لإحدى الوديان، وهي لا تزال في عمر الزهور، جوزيف قرر البقاء بعد عثوره على كتاب ذكرياتها في إحدى بيوت سكان تلك المدينة والذي كان يعمل كموظف سابق في البلدية واستبدله معه بمروحة كهربائية، عمل جوزيف طيلة الأربعين عاما في تحويل كتابات " إيزابيل "إلى لوحات فنية بلغ عددها ثلاثة عشر لوحة كان حين ينتهي من رسمها يدفنها في حديقة بيته لأنها لم تكن ذات المستوى المطلوب من الإبداع الفني وكذا لتحويلها لكنز ليأتي من بعده الناس ويقومون بالحفر واستخراجها، تعلق " جوزيف " بشخصية " إيزابيل "تعلقا شديدا بشكل غير طبيعي رغم أنه لم يحتك بها ولم يقابلها يوما، وهذا الارتباط الوثيق يترجمه التشابه بين حكايتهما، فكلاهما مغتريان أوروبيان قدما للجزائر في فترتين زمنييتين مختلفتين، واعتنقا الإسلام والكثير من الممارسات التي يقوم بها كل من "جوزيف" و"إيزابيل" متشابهة إلى أبعد الحدود وهذا ما جعله يبحث باستمرار وشغف في سيرتها.

"جوزيف " كان يعاني اضطرابا وقلقا نفسيا إذ أنه في أحيان كثيرة لم يعرف نفسه إذ كان فرنسيا أو جزائريا، مسيحيا نصرانيا أو مسلما. لم يشعر بالاستقرار النفسي البتة والأربعين عاما التي قضاها في الجزائر كان يشعر بالغربة دائما والجفاء في التعامل مع سكان منطقة بوسعادة الذين كانوا حذرين من التصرف معه لأنهم اعتبروه كما ذكر جاسوسا فرنسيا، ليعود " جوزيف " بعد ذلك إلى شقته في الضاحية الباريسية بفرنسا التي هجرها قرابة الأربعين عاما بعد تدهور الأوضاع السياسية في الجزائر خلال تلك الفترة فأراد أن يغادر بمحض إرادته قبل أن يتعرض للطرده، غادر " جوزيف "الجزائر إلى فرنسا رفقة زميله

ورفيقه الوحيد في هذه الحياة" سليمان "ليجد نفسه هناك غريبا أيضا فأشياء كثيرة تغيرت ولم تعد كما كانت عليه حينما غادرها ولم يستطع " جوزيف " أن يعيش الاستقرار النفسي والهوياتي في كلا البلدين، كما أنه اتصل ب" سعيد خطيبي " المؤلف ذاته ليساعده في تحقيق ما لم يستطع تحقيقه بنفسه بإعادة نشر مخطوط إيزابيل وسيرته الذاتية.